إمداد المُحتاج
إلى مَعرفة
الإسراء والمعراج

حاشيةٌ على «رسالة المعراج الصَّغرى»
للمحدِّث الفقيه نَجمِ الدِّينِ الغَيطيِّ السَّكندَرِيِّ
(ت ٩٨١هـ) رحِمَه اللهُ تَعالَى



للشيخ جميل بن محمد علي حليم
دكتور محاضِر في العَقيدة والفِرَق

شركة دار المشاريع

إمداد المُحتاج
إلى مَعرفة
الإسراء والمعراج

حاشيةٌ على «رسالة المعراج الصُّغرَى»
للمحدِّث الفقِيه نَجمِ الدِّينِ الغَيْطِيِّ السَّكَندَرِيّ
(ت ٩٨١هـ) رحِمَه اللَّهُ تَعالَى

للشَيخ جميل بن محمد علي حَليم
دكتور محاضِر في العَقيدَة والفِرَق

شركة دار المشاريع

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ر
شركة دار المشاريع


ISBN 978-9953-20-912-8
email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

يقولُ الإمامُ المُزَنيُّ رَحِمَهُ اللّه:
«قرأتُ كتابَ الرسالة على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا من مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللّه أن يكونَ كِتابٌ صحيحٌ غيرَ كِتابِهِ»

أَخِي القارئَ الكريمُ، مَا كَان مِن خطإٍ فِي كتابِنا فَأَرْشِدنا إليهِ، فَإِنَّنا لَا نَدَّعي العِصمةَ، ونحنُ لكَ مِن الشَّاكرِين.

قَالَ شَيخُنَا الحافظُ الهَرَرِيُّ رَحِمَهُ اللّه:
«الَّذِي يَعْتَمِدُ وَحْدَهُ عَلَى مُطَالَعَةِ الكُتُبِ يَطْلُعُ ضَالًّا مُضِلًّا»

فلا بُدَّ أَخِي القارئَ مِن تَلَقِّي العِلمِ مِن أفواهِ الأَثباتِ الثِّقاتِ مِنَ أهلِ العِلمِ

المقدمـــةُ

الحمدُ للهِ المُتَّصِفِ بِدَوام المُلكِ والبَقاء، المُنفَرِدِ بِخَلقِ الأشياء، مُولِجِ الضِّياءِ في الظَّلامِ ومُولِجِ الظَّلامِ في الضِّياء، مُحْيِي الأمواتِ ومُمِيتِ الأحياء، مُقَدِّرِ الأرْزاقِ والآجالِ والسَّعادةِ والشَّقاء، الّذي كرَّمَ سيّدَنا محمّدًا ﷺ بالنّبُوَةِ وَجَعَلَه خاتَمًا للأنبياء، فهُو إمامُ المُتّقِينَ وسيّدُ المُرسَلِين، ورَأسُ الوَرِعينَ وقُدوَةُ الزّاهِدِينَ، وقائدُ السّالكِينَ وسيّدُ الغُرِّ المُحَجَّلِين، أكرَمَهُ اللهُ بالمَقاماتِ أشرَفِها وأَعْلاها، وأنالَه مِن الأحوالِ أجَلِّها وأَسْنَاها، فَبَعَثَه بِباهِرِ المُعجِزاتِ الظاهِرَة، وأيّدَه بِظاهِرِ الآياتِ الباهِرة، وأنزلَ علَيه الكِتابَ المُبِين، وخَصَّه بِمُعجزةِ الإسراءِ والمِعراجِ بَينَ النَّبيّين، فأطلَعَه علَى عَجيبِ العُلويّات، وأَبْرَزَ لهُ مِن الآياتِ البَيِّنات، وأدخَلَهُ دارَ النَّعيمِ والمَسَرَّات، كلُّ ذلك في جُزءِ لَيلةٍ مِن اللَّيالِي المُبارَكات.

وبَعدُ، فقَد صنَّفَ العُلَماءُ في مُعجِزة الإسراءِ والمِعراجِ المُصَنَّفات، ومَلَؤُوا بذلك الصُّحُفَ المُبيَّضاتِ والمُسَوَّدات، ونقَلُوا مِن كُتُبِ الحديثِ الآثارَ والأخبارَ الشّاهِدات، على صِحّةِ وقوعِ تفاصيلِ هذه المُعجزةِ على النَّحوِ الآتِ، الكائِن في هذه الرِّسالَةِ الّتي صَنَّفها القاضِي الفَقِيهُ النَّجم، الإمامُ المُحدِّثُ

العَلَم، نَجمُ الدِّينِ أبو المَواهِب مُحمّدٌ الغَيطِيّ، فأحبَبْنا أنْ نُثرِيَ تِلكَ الرِّسالةَ بالحواشِي النّافِعة، ونُغْنِيَها بالفَوائِدِ الماتِعة، لِيكُونَ عَونًا للقارِئِ على حلِّ غَرِيبِ لَفْظِها، وتَسهِيلِ مُشكِلِ قَولِها، وأسمَيْناها «**إمدادَ المُحتاجِ إلى مَعرفَةِ الإسراءِ والمِعراجِ**»، وما ذاك إلّا ابتِغاءَ رِضَى المَلِكِ الوَهّاب، رَجاءَ نَيلِ العَطِيَّةِ مِن لَدُنْهُ والثَّواب، إنّه على ما يَشاءُ قَدِير، والحمدُ للهِ التَوّابِ الخَبِير.

التَّوطِئَة
المِيزان في بَيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيم الجاهِ، العالي القَدرِ طه الأمينِ، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغُرِّ المَحجَّلِينَ، وعلى ذُرِّيَّته وأهلِ بَيتِه المَيامِين المكرَّمين، وعلى زوجاتِه أمَّهات المؤمِنين البارّاتِ التَّقِيَّات النَّقِيَّات الطاهراتِ الصَّفِيَّات، وصحابَتِه الطيِّبين الطَّاهِرين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلاميةِ سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ

الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأْنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتصرّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن

الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلق الخلق بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبِيرهم مُشِير ولا ظَهِير.

لا يلزمه (لِمَ)، ولا يُجاوِرُه (أين)، ولا يُلاصِقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه (ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُره (متَى)، ولا يُحِيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيٌّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابِلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عِند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمُه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلـٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، **فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُركَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.**

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ

والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمَن زعَم أنّ الله في شيء أو مِن شيء أو على شيء فقد أشْرَك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان مِن شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعِلمِه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌ أبديٌ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابَه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ومن زعم أن إلٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفَر.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسام وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياةٍ وموتٍ وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خَلْق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقُدوَتنا ومَلاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين

زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرَّآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الحمدُ والفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحقّ الّذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكلُّ الأمّة الإسلامية، والحمدُ لله ربّ العالمين.

نُبْذَة تعريفِيَّة بالشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم

بقلم الناشر

هو السيد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد حليم، الحسينيُّ الأشعري الشافعي الرفاعي القادريّ.

تلقَّى العلم عن علاَّمة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري، وأجازه كثيرٌ من العلماءِ والمحدِّثين والمشايخ في شتّى البلاد إجازةً عامةً مطلقةً بكل ما تجوز لهم روايته.

وقد حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المُدَوِّي للمُجَسِّم ابن تَيمِيةَ الحرَّاني» بتقديرٍ ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشرف جدًّا.

وقد أولى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة، فهو يعكف اليوم على تأليفِ الكتب وتحقيق مصنَّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية العبدرية» في بيروت وقد حوت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة بشتى العلوم والفنون. هذا وقد

خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ وأصحاب الطرق من بلادٍ شتّى بآثارٍ من آثار رسول الله محمَّد ﷺ، فحفظها في «الخزينة الحليمية». وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في شتى البلاد ببعض هذه الآثار الزكية[١].

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: ‎+٩٦١٣٠٠٦٠٧٨ / ‎+٩٦١٣٢١٥٣١٦

 sh.jamil.halim@gmail.com
 Sheikh.Jameel
 SheikhJameelHalim
 sheikh_jameel
 JameelHalim
 sheikhjameelhalim

سنَدُ الشّارِح في رِسالةِ المِعراجِ الصُّغرَى للنَّجمِ الغَيطِيّ

أقول وأنا جميل أروِي رِسالةَ الغَيطِيّ الصُّغرَى في المِعراجِ بأسانِيدَ عدِيدةٍ، مِنها:

رِوايَتِي لَها قراءةً مِن أوّلِها إلى ءاخِرِها على الشَّيخ محمّد غازِي حُسَين ءاغا الحِمْصِي وهو عن شيخِه الشّيخ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ إسماعِيلَ الكَعكِيّ الحِمصِيّ (ت ١٤١٧هـ) عن مُفتِي الشافِعِيّة بِحلَبَ العَلاّمةِ الفقيهِ الأصولِيّ اللُّغَوِيّ محمّدِ بنِ أسعَد بنِ أحمدَ العُبَجِي الشافعِيّ الحَلَبِيّ (ت ١٣٩٣هـ) - تِلميذِ المحدِّث الشّيخ بَدرِ الدِّين الحَسَنِيّ وشَيخِ المحدِّث محمّد ياسِين الفاداني - ويَروِيها الشّيخُ العُبَجِي عن فَقِيه الشافعِيّةِ بِحلَبَ المحَدِّثِ الأصولِيّ الشيخِ أحمدَ بنِ مُصطفَى ابنِ عبدِ الوهّابِ المعروف بالمكتَبِيّ الكَبِير (ت ١٣٤٢هـ) عن شيخِ الأزهَرِ محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ حسَينٍ الأنْبابِيّ الشافعيّ (ت ١٣١٣هـ) عن الشّيخِ إبراهيمَ بنِ عليّ بنِ حسَن السَّقّا الأزهرِيّ (ت ١٢٩٨هـ) عن الشّيخِ المُعَمَّر ثُعَيْلِبِ بنِ سالِم الفِشْنِيّ الأزهريّ (ت ١٢٣٩هـ) عن المحَدِّثِ الفَقِيه أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ عبدِ الفتّاحِ الْمَلَّوِيّ الشافِعِيّ الأزهريّ (ت ١١٨١هـ) عن الشّيخ الصُّوفِيّ الشِّهابِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ النَّخلِيّ المكّيّ الشافِعِيّ الأزهرِيّ (ت ١١٣٠هـ) عن الفقِيهِ الشَّمسِ محمَّدِ بنِ العَلاءِ البابِلِيّ (ت ١٠٧٧هـ) عن مُفتِي المالِكيّة بمِصرَ سالم بنِ محمَّدٍ العِزّ بنِ محمَّدٍ النّاصِر السَّنْهُورِيّ (ت ١٠١٥هـ) وهو عن المصنِّفِ الفقيهِ المحدِّث

الشيخِ النَّجمِ محمَّدِ بنِ أحمدَ بن عليٍّ الغَيْطِيّ السَّكَنْدَرِيِّ الشافعيِّ (ت ٩٨٤هـ) رحمه الله تعالَى.

الحمد للهِ ربِّ العالَمِين وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِه وصَحبِه وسلَّمَ.

بالسنَد المتَّصِل إلى الإمام نجمِ الدِّينِ الغَيْطِيِّ رحمه الله تعالى قال: بينَما(١) النبيُّ ﷺ عِندَ البيتِ(٢) في الحِجْرِ(٣) مُضطجِعًا(٤) بينَ رَجُلَينِ(٥) إذْ أتاهُ(٦) جِبريلُ ومِيكائِيلُ ومعَهُما مَلَكٌ ءاخَرُ(٧)، فاحْتَمَلُوه(٨) حتَّى

---

(١) أي بَينَ أوقاتِ كَونِ النّبِيّ ﷺ كذا.

(٢) أي الكَعبةِ.

(٣) هو ما تحتَ مِيزابِ الرّحمةِ مِن الكعبةِ لجِهةِ الشّامِ، وإنّما سُمّيَ حِجرًا لأنّه احتُجِرَ أي اقتُلِعَ منِ الأرضِ بما أُدِيرَ عليه مِن البُنْيان.

(٤) أي واضِعًا جَنْبَه الأيمنَ الشَّريفَ بالأرضِ بَين النَّوم واليَقَظةِ، وذلك تواضُعًا منه ﷺ معَ كونِه أعلَى النّاسِ قَدْرًا وشأنًا عِندَ الله عزَّ وجلَّ.

(٥) هُما عمُّه حمزةُ وابنُ عَمِّه جَعفرٌ رضي الله عنهُما.

(٦) أي بغَتَه بالمجيءِ.

(٧) قيل هو إسرافيلُ عليه السّلامُ.

(٨) أي حملَه الملائكةُ الثّلاثةُ بلُطفٍ وبهيئةٍ تُشعِرُ بتَوقِيرِه وتعظِيمِه ﷺ، هذا مِن غَيرِ أن يُشعِرُوا حمزةَ وجَعفرا رضي الله عنهُما بذلك.

جاؤُوا بِه زَمزمَ[١] فاسْتَلْقَوه علَى ظَهرِه[٢] فتَولَّاه مِنهُم[٣] جِبريلُ.

وفي رِوايةٍ: فُرِجَ[٤] سَقْفُ بَيتِه[٥]، فَنَزَل جِبريلُ

---

(١) أي ناحيةَ البِئرِ. وزَمزمُ بِئرٌ داخلَ المسجدِ الحَرامِ، بينَها وبينَ الكعبة نحو سبعةَ عشَر مِترًا. اختُلِف في سببِ تسميتِها بذلك؛ فقِيلَ: لِكَثرةِ مائِها وذلك أنّه يُقال للماءِ الكثِير زَمزمٌ وزَمْزُومٌ، وقيل: لِضَمّ هاجَرَ علَيها السّلامُ ماءَها حِينَ انفجَرَتْ وسالتْ وزَمّها إيّاها، وقيل: غيرُ ذلك. ولماءِ زَمزمَ أسماءٌ أُخَر، مِنها: **هَزْمةُ جبريلَ** أي غَمزَتُهُ بِعَقبِه في الأرضِ، **وبَرّةٌ**، **وشَباعةُ** بفتح الشّين، **والمَضنُونة** وهي الّتي لا يَشبَع مِنها مُنافِقٌ، **وتُكْتَمُ** سُمّيت بذلك لأنّها اندفَنَتْ بعدَ جُرْهُم وصارتْ مكتومةً فأخرجَها عبدُ المُطّلِب، **وطَعامُ طُعم**، **وشِفاءُ سُقْم**، **وشَرابُ الأبرارِ** أي مِن شأنِ الأبرارِ أنْ يَشرَبُوا مِنها إن استطاعُوا اقتداءً بالنّبيّ محمّدٍ ﷺ وتعالِيمِه، وليسَ معناه أنّه لا يَشرَبُ مِنها إلّا بَرٌّ تَقِيٌّ، لا، فقد ثبت أنه شَرِبَ مِنها المُنافِقُون وأصنافٌ مِن الكافرين. وجاء في الحدِيثِ الثّابت مرفوعًا: «**ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**» أي مَن شَرِبَه لِحاجةٍ نالَها بإذْن الله. وقَد صحَّ عن أبِي ذَرّ الغِفاريّ رضي الله عنه أنّه أقام شَهرًا بمّكةَ فقال: «ما كانَ لِي طَعامٌ إلَّا ماءُ زَمزَمَ، فَسَمِنتُ حتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطنِي».

(٢) أي طلَبُوا مِنه ﷺ الاستِلقاءَ على ظَهرِه أو أنّهُم فعَلُوا به ذلكَ على هَيئةِ الهَيبةِ والوَقارِ.

(٣) أي تولَّى أمرَهُ مِن بَينِهم.

(٤) أي شُقَّ.

(٥) هو مُقدِّمةٌ لِما يكونُ في هذه اللَّيلةِ مِن خَرقِ العادةِ وبُروزِ العَلاماتِ الباهِرةِ كشَقّ صَدرِه الشَّريفِ وشَقّ البَحرِ المكفوفِ وشَقِّه ﷺ طريقَه نحوَ السّماواتِ العُلَى.

وجاء في بعض الرّوايات: «بَيْتِي» بالإضافةِ على معنَى البيتِ الّذي كان يَبِيتُ فيه ﷺ، فقد كان إذْ ذاكَ - بناءً على هذه الرّواية - فِي بَيتِ أُمّ هانئٍ رضي الله عنها بِنتِ عَمّه أبي طالبٍ ولَم يَكُن مُختلِيًا بِها، واسمُ أُمِّ هانئٍ فاخِتةُ ومعناه الحَمامةُ ذاتُ الطَّوقِ حسَنةُ الصَّوتِ، وقيل: عاتكةُ، وقيل: هِندٌ. =

فشَقَّ[١] مِن ثُغْرةِ نَحْرِه[٢] إلى أسفَلِ بَطْنِه[٣] ثُمّ قالَ جِبريلُ لمِيكائيلَ: ائْتني بِطَسْتٍ[٤] مِن ماءِ زمزمَ كَيْما أُطهِّرَ قَلبَه[٥] وأَشرَحَ صَدرَه[٦]، فاسْتخرَجَ قَلبَه فغَسَلَه[٧] ثَلاثَ مَرّاتٍ ونَزَعَ[٨] ما كان فِيه مِن أذًى[٩]،

= وقد جمَع بعضُ المحدّثين بينَ الرّوايتَين بأنّه ﷺ كان ابتداءً في بَيتِ أُمّ هانئٍ رضي الله عنها فشُقَّ سَقفُ البَيتِ فاحتملَتْهُ الملائكةُ إلى ناحِيةِ الحِجْر فوضعَتْه بينَ حمزةَ وجَعفرٍ رضي الله عنهما حتّى اضْطَجَع ثُمّ عادُوا واحتَملُوه إلى ناحيةِ زَمزَمَ.

(١) أي طُولًا، وذلكَ مِن غيرِ أن يَشعُرَ رسولُ الله ﷺ بألَمٍ، والتأمَ موضِعُ الشَقّ مِنه ﷺ بعدَ ذلكَ بسُرعةٍ.

(٢) ثُغْرةُ النَّحرِ النُّقْرة بَين التَّرقُوتَين، والتَّرقُوةُ العَظْمُ البارِزُ المُتّصِلُ بَين المَنكِب وثُغْرَةِ النَّحرِ، والمَنكِبُ مُجتمَعُ العَضُدِ والكَتِف.

(٣) قريبًا مِن السُّرّة.

(٤) أي إناءٍ، ويَغلِبُ على الطَّسْتِ المُستعمَل بينَ النّاسِ كونُه مِن نُحاسٍ، أمّا الّذي جاءَ به مِيكائيلُ عليه السّلام فرُوي أنّه كان مِن ذهَبٍ مِن أوانِي الجنّةِ. وفي اسمِه لُغاتٌ: الطَّسْتُ والطِّسْتُ والطَّشْتُ والطِّشْتُ والطَّسُّ والطَّسَّةُ.

(٥) أي مِن أجلِ أنْ أزِيدَ في طَهارةِ قَلبِه الشّريفِ ﷺ، ولا شَكَّ أنّه ﷺ أطهَرُ النّاسِ قَلبًا.

(٦) أي مِن أجلِ أنْ أُوسّع قَلبَه ليَمتلِئ بالأسرارِ زِيادةً على ما هو عليه.

(٧) أي القَلبَ الشَّريفَ.

(٨) أي أخرَج مِن قَلبِه ﷺ.

(٩) يُريدُ بذلكَ العلَقة السَّوداء، وقد وهَم بعضُ المحدِّثين وأهلِ السِّيَرِ كالقاضي عِياضٍ والبُرهانِ الحلَبيّ الرُّواةَ الّذين ذكَرُوا قضيّةَ استِخراج العلَقةِ السَّوداءِ هُنا ليلةَ المِعراجِ على اعتبارِ أنّه حصَلَ لهؤلاءِ الرُّواةِ خَلطٌ بينَ حادثةِ الشَقّ ليلةَ المِعراج وبينَ الشَقّ الّذي حصَلَ له حِينَ كان طِفلًا في باديةِ بَنِي سَعدٍ حيث أضجَعَه جِبريلُ ومِيكائيلُ عليهما السّلامُ وأخرَجا مِن قَلبِه العلَقةَ السَّوداءَ لِكَي يَبقَى طُولَ عمُرِه محفوظًا مِن شَرِّ الشَّيطانِ. =

واختَلَفَ[١] إلَيهِ مِيكائيلُ بِثَلاثِ طِساتٍ[٢] مِن ماءِ زَمزمَ[٣]، ثُمّ أتى[٤] بِطَسْتٍ[٥] مِن ذَهَبٍ مُمتلئٍ حِكمةً وإيمانًا[٦] فأَفرَغه[٧] في صَدْرِه[٨] ومَلأه حِلمًا وعِلمًا ويَقِينًا وإسلامًا[٩] ثُمّ أطبَقَه[١٠] ثُمّ خَتَم بَينَ كَتِفَيهِ

= ولا شَكَّ أنّ الشّيطانَ لا يستطِيعُ دُخولَ جسَدِ أحَدٍ مِن الأنبياءِ بل يُوسوِسُ لَهُم مِن خارِج، ومع ذلكَ فإنّ قرِينَ النّبيّ محمّدٍ مِن الجِنّ أسلَمَ، فقَد صحَّ في الحديثِ الّذي رواهُ مُسلِمٌ وغيرُه أنّ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله «**ما مِنْكُم مِن أَحَدٍ إلّا وَقَد وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنّ**»، قالُوا: وإيّاكَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «**وَإيّايَ، إلّا أَنَّ اللهَ أَعانَنِي عَلَيهِ فَأَسْلَمَ فَلا يَأْمُرُني إلّا بِخَيْرٍ**».

(١) أي أتى.

(٢) جمع طَسْتٍ.

(٣) إشارةٌ إلى كَونِ الغَسلاتِ الثّلاثةِ مِن طِساتٍ ثلاثةٍ لا مِن طَسٍّ واحدٍ.

(٤) أي جِبريلُ عليه السّلامُ.

(٥) أي رابعٍ غيرِ الثّلاثةِ السّابقةِ.

(٦) أي مملوءًا بشيءٍ يَحصُل به الزّيادةُ في الكمالاتِ والحِكمةِ للنّبيّ وقال شيخُنا الإمام الهرريُّ رحمه الله: «الطّسْتُ فيه شيءٌ حِسّيٌّ، أمّا الوَصفُ بالحِكمةِ والإيمانِ فهو شيءٌ مَعنوِيٌّ».

(٧) أي الطّسْتَ المملوءَ حِكمةً وإيمانًا.

(٨) أي قَلبِه الشّريفِ ﷺ.

(٩) قال الإمام ابنُ أبِي جَمْرةَ رضي الله عنه: «الحِكمةُ في شَقّ صَدرِه معَ القُدرةِ على أن يمتلِئَ قَلبُه إيمانًا وحِكمةً بغَير شَقّ الزّيادةُ في قُوّة اليَقين لأنّه أُعطِي ﷺ برؤيةِ شَقّ بَطنِه وعدَمِ تأثُّرِه بذلكَ ما أَمِنَ معه مِن جميعِ المَخاوِف العاديّة».

(١٠) أي الصّدرَ الشّريفَ.

بِخَاتَمِ النُبوّةِ[١]، ثُمّ أُتِيَ بالبُراقِ[٢] مُسْرَجًا[٣] مُلْجَمًا[٤] وهو دابّةٌ أبيَضُ طَويلٌ فَوقَ الحِمارِ ودُونَ البَغلِ[٥] يضَعُ حافِرَه[٦] عِندَ مُنتهَى طَرْفِه[٧]، مُضْطَرِبُ الأُذُنينِ[٨]، إذَا أتَى علَى جَبَلٍ[٩] ارتفَعَتْ رِجْلاهُ[١٠] وإذَا هَبَط ارْتَفَعَتْ يَداهُ[١١]، له جَناحانِ فِي فَخِذَيهِ يُحَفِّزُ

---

(١) قال الزُّرقانيّ في «شرحِ المَواهِبِ» (١/٣٠٢): «إنّ الخَتمَ تَكرَّرَ ثَلاثَ مَرّاتٍ: في بَنِي سَعدٍ، ثُمّ عِندَ المَبعَثِ، ثُمّ لَيلَةَ الإسراءِ كما دَلَّتْ علَيه الأحاديثُ، ولا بأس بهذا الجَمعِ، فإنّ فيه إعمالَ الأحاديثِ كُلِّها إذْ لا داعِيَ لِرَدّ بَعضِها وإعمالِ بَعضِها، لصِحّة كُلّ مِنها».

وخَاتَمُ النّبوة قِطعةُ لَحم على الجِلدِ ناتئةٌ مُستدِيرةٌ قَدرُ بَيضةِ الحَمامِ مُرتفِعةٌ في ظَهرِه الشَّريفِ ﷺ بينَ كَتِفَيه الشَّريفَين ﷺ، يَزهُو بالنُّور وتَعلُوه المَهابةُ ويَنفَح بالطِّيب.

(٢) أي مِن الجنّةِ، يُذَكَّر ويُؤنَّثُ، مُشتَقٌّ مِن برَقَ يَبرُقُ، وهو مأخوذٌ مِن البَرقِ لسُرعةِ سَيرِه أو مِن البَريق لشِدّةِ صفاءِ لَونِه.

(٣) أي علَيه سَرجٌ وهو ما يُهيّأُ للرُّكوبِ، قيل: كان مِن لؤلؤة بَيضاءَ.

(٤) أي مشدُودًا عليه اللِّجامُ، وهو ما يُوضَع في فَمِ الدابّة، قيل: كان مِن ياقُوتةٍ حمراءَ.

(٥) أي أكبرُ مِن الحِمارِ وأقلُّ مِن البَغلِ حَجمًا.

(٦) سُمّي حافِرًا لأنّه يُحفَرُ به الأرضُ.

(٧) أي يحُطُّ كُلَّ حافِرٍ مِن يدَيه المُتقدِّمتَين عندَ المكانِ الّذي يَنتهِي إليه بصَرُه، ثُمّ يضَعُ كُلَّ واحِدةٍ مِن رِجلَيه مكانَ ذلكَ.

(٨) أي مُتحرّكُ الأُذُنَين معَ طُولٍ فيهِما.

(٩) أي إذا أقبَلَ على صُعودِ جبَلٍ.

(١٠) أي طالَتْ رِجلاهُ المُؤخَّرتانِ.

(١١) أي المُتقدِّمَتانِ. وإذَا استوَتِ الأرضُ عَقِبَ جبَلٍ أو وادٍ رجَع البُراقُ إلى حالِه الأوّلِ في رِجلَيه ويَدَيهِ فلا يُحِسُّ راكِبُه بمشَقّةٍ.

بهِما رِجلَيهِ[١]، فاسْتَصْعَبَ علَيهِ[٢]، فوَضَعَ جبريلُ يَدَيهِ علَى مَعرَفَتِه[٣] ثُمّ قال: ألَا تَسْتَحْيِي[٤] يا بُراقُ، فواللهِ ما رَكِبكَ خَلْقٌ أكرَم علَى اللهِ مِنهُ[٥]، فاسْتَحْيَى[٦] حتَّى ارْفَضَّ عرَقًا[٧] وقَرَّ[٨] حتَّى رَكِبَها، وكانَتِ

---

(١) أي يُقوّي بِهما رِجلَيه في سُرعة السَّيرِ. ولعلَّ السِرَّ في كونِهما في فخِذَيه ثِقَلُ مُؤخِّرته أو لأنّ ذلكَ أرفَقُ بالرّاكِب؛ فإنّهُما لو كانا في جَنبَيه لحاذَيا الرَّاكِبَ ولَحصَلَ له بذلكَ مشقَّةٌ عند نَشرِ البُراقِ لَهُما وعندَ طيِّهما لا سيّما حالَ الإسراعِ.

(٢) أي اضْطَرب اضطرابًا شدِيدًا فصارَ صَعْبَ الرُّكوب مُستعصِيًا. وقَد فعل البُراقُ ذلكَ مَهابةً للنبيّ ﷺ وتِيهًا ودَلالًا وفرحًا به ﷺ لا إبايةً وامتناعًا، قاله الحافظُ العسقلانيّ في «الفَتح» (٧/ ٢٠٧).

وفي روايةٍ: «**فَشَمِسَ**» أي منَعَ ظَهرَه، وفي روايةٍ: «**صَرَّتْ أُذُنَيهَا**» بالتّأنِيثِ على ما ذكَرْنا مِن جوازِ تذكيرِ البُراقِ وتأنيثِه ومعناه أنّها اضْطَرَبَتْ، وفي روايةٍ أُخرَى: «**تَعَثَّرَتْ وَنَفَشَتْ عُرْفَها**» أي اضْطَرَبَتْ ونفشَتْ شعرَ عنُقِها.

(٣) أي على مَوضِع العُرْفِ مِن البُراقِ وهو الشَّعرُ في عُنُقِها.

(٤) وفي روايةٍ: «**ألَا تَسْتَحْيِينَ**»، خاطبَه خِطابَ مَن يَعقِلُ، فإنّ اللهَ عزَّ وجلَّ قَد يَجعَلُ الإدراكَ في بعضِ الدَّوابِّ والجَماداتِ إذا شاءَ.

(٥) فيه دليلٌ على أنّه رَكبَه مِن قَبلِ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ غيرُه. أمّا ما ذكرَه بعضُ أهلِ السِّيَر مِن أنّ اضْطِرابَ البُراقِ كانَ لِبُعدِ العَهدِ برُكوبِ الأنبياءِ لهُ فغيرُ صحيحٍ، نعَم كانتْ ترَكَبُه الأنبياءُ ولكنّه لَم يَضطِرب امتِناعًا مِن أنْ يركَبَهُ خيرُ الخَلقِ محمّدٌ ﷺ بل فعَلَ ذلكَ طَرَبًا وتِيهًا ودَلالًا.

(٦) أي البُراقُ مُجيبًا بلِسانِ الحالِ.

(٧) أي جرَى وسالَ مِنهُ العرَقُ حَياءً ومَهابةً.

(٨) أي سكَنَتْ وثبَتَتْ.

الأنبياءُ تَركَبُها قَبلَه[١].

وقال سعِيدُ بنُ المُسيّبِ وغيرُه[٢]: «هي دابّةُ إبراهِيمَ الّتي كان يَركَبُها لِلبَيتِ الحَرام»[٣]. فانطَلَقَ به[٤] جبريلُ وهو عن يَمِينِه[٥] وميكائيلُ[٦] وهو عن يَسارِه[٧]. وعن ابن سَعدٍ: وكان الآخذُ بِركابه جبريلَ وبزِمامِ البُراقِ ميكائيلَ، فسارُوا حتَّى بلَغوا أرضًا ذاتَ نَخلٍ، فقال له جِبريلُ: انزِل فصَلِّ هنا، ففَعَل ثُمّ رَكِب فقال له: أتَدرِي أينَ صلَّيتَ؟ قال: لا،

---

(١) يُؤيّده ما رواهُ البيهقيّ في «الدَّلائِل» مِن حديثِ أبِي سعيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه عن رسولِ الله قال: «**وَكانَتِ الأَنْبِياءُ صَلَواتُ اللهِ عليهم تَرْكَبُهُ قَبْلِي**».

(٢) كالتابعِيّ أبي سلَمةَ عِيسَى بنِ عبدِ الرَحمنِ السُّلَمِيّ.

(٣) أخرجَه الطبَرِيّ في «تهذِيب الآثار» (١/ ٤١٢).

روي أنّ سيّدنا إبراهيمَ ﷺ كان إذا أرادَ زيارة السيّدةِ هاجَرَ عليها السّلامُ بمكّةَ حمل على البُراقِ وغدَا مِن الشّامِ إلى مكّة، ثُمّ عاد فباتَ اللّيلَ بالشام عِندَ السيّدةِ سارةَ عليها السّلامُ.

وحُكي أيضًا أنّه حِينَ ماتتْ هاجرُ وتزوَّجَ إسماعيلُ ﷺ امرأةً مِن جُرهُمٍ، كان إبراهيمُ يَركَبُ البُراقَ ليزُورَ ولدَه بمكّةَ ثُمّ يعودُ فيَبيتُ عند سارةَ.

(٤) أي بالنّبِيّ ﷺ على البُراقِ.

(٥) وكان جِبريلُ ءاخِذًا بركابِ البُراقِ، وفي بعض الآثارِ أنّه رَكِبَ مع النّبيّ ﷺ، فلا مانِعَ مِن وُقوعِ هذين الأمرَين في الرِّحلة نَفسِها.

(٦) وكان مِيكائيلُ عليه السّلامُ ءاخِذًا بالزِّمامِ أي المِقوَدِ.

(٧) لَم يُذكَر خبَرُ الملَكِ الثّالِث الّذي كان معَهُما بمكّة حالَ شَقِّ الصّدرِ الشّريف.

قال: صلَّيتَ بطَيبةَ[(١)] وإليها المُهاجَرةُ. فانطلَقَ البُراق يَهوِي[(٢)] به يَضَعُ حافِرَه حيثُ أدرَكَ طَرْفُه، فقال له جِبريلُ: انزِلْ فصَلِّ هنا[(٣)]، ففَعَل ثُمّ ركِبَ فقال له:

أتَدرِي أينَ صَلَّيتَ؟ قال: صَلَّيتَ بمَدينَ[(٤)] عِندَ شجَرةِ موسَى[(٥)].

فانطَلَقَ البُراقُ يَهوِي بِهِ ثُمّ قال له جِبريلُ: انزِلْ فصَلِّ هنا، ففَعَل ثُمّ رَكِبَ فقال له: أتَدرِي أينَ صَلَّيتَ؟ قال: لا، قال: صَلَّيتَ بِطُورِ سِيناءَ[(٦)] حيثُ كلَّمَ اللهُ مُوسَى[(٧)].

---

(١) وتُسمَّى طابَةَ أيضًا، سُمِّيت بذلكَ لِطِيبِها بمُهاجَرة النَّبيّ محمّدٍ ﷺ إليها وسُكْناه بِها.

(٢) أي يَسِيرُ.

(٣) فيه دَليلٌ لأهلِ السُنّة على استِحبابِ الصلاةِ في المواضِع المُبارَكة، قال الله تعالى خِطابًا لمُوسَى ﷺ: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، وقال أيضًا: ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

(٤) تقعُ جَنُوبَ فِلَسطِينَ وتطِلّ على خليجِ العقَبةِ المُحاذِي لسِيناءَ.

(٥) وهي الشّجَرة الّتي استظَلّ تحتَها سيّدُنا موسى ﷺ حِينَ خرَجَ فِرارًا مِن أذَى الكُفّارِ حِين ضرَبَ القِبطِيَّ فقتلَه قبلَ أنْ يأتِيَه الإذنُ بذلكَ، قيل: كانتْ شجَرةَ عُنّابٍ أو عَوسَجٍ، وقيل غيرهما، قال اللهُ تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [سُورة: ٢١-٢٢]، أو هي الشّجَرةُ الّتي كانَ عِندَها حِينَ كُشف له الحِجابُ فأسمَعَهُ اللهُ كلامَه الّذي ليسَ حَرفًا ولا صَوتًا ولا لُغةً وفَهِم مِنه مُوسَى ما فَهِم.

(٦) بكَسرِ السِّين وفَتحِها، ويقال فيه: سِينِين.

(٧) أي في المَكانِ الّذي كان فيه سيّدنا موسى ﷺ عندَما سَمِعَ كلامَ اللهِ الذّاتِيَّ الّذي ليسَ=

ثُمّ بلَغَ أرضًا بَدَتْ[١] له قُصورٌ[٢] فقال له جِبريلُ: انزِلْ فصَلِّ هنا، ففَعَل ثُمّ رَكِب وانطلَقَ البُراقُ يَهوِي به فقال له جِبريلُ: أتَدرِي أين صلَّيتَ؟ قال: لا، قال: صَلَّيتَ بِبَيتِ لَحمٍ[٣] حَيثُ وُلِدَ عِيسَى ابنُ مَريمَ[٤].

وبَينَما هو يَسِيرُ على البُراقِ إذْ رأَى عِفرِيتًا[٥] مِن الجِنّ يَطلُبُه بِشُعلَةٍ مِن نارٍ[٦]، كُلَّما الْتَفَتَ[٧] رَءاه، فقال له جِبريلُ: ألَا أُعلِّمُك كَلِماتٍ تَقُولهُنّ إذَا قُلتَهُنَّ طَفِئَتْ شُعْلَتُه وخَرَّ لِفِيهِ[٨]؟

= حَرفًا ولا صَوتًا ولا لُغةً وفَهِمَ مِنه مُوسَى ما فَهِمَ، أمّا الله عزّ وجلّ فلَم يَحُلّ في الطُّورِ ولا في غيرِه مِن الأماكِن، فإنّه سُبحانَه وتعالَى موجودٌ أزلًا وأبَدًا بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ ولا جِهةٍ، وكلامُه الذّاتيُّ صِفةٌ له أزليّة أبديّة، فكلامُه ليسَ ككلام الخَلقِ، ليسَ مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا ولا مُتقطِعًا ولا مُتتابِعًا ولا مُتبعِّضًا ولا مُتَركِّبًا ولا مُتَعدِّدًا، بل هو كلامٌ واحِدٌ أزليٌّ أبديٌّ لا يُحِيطُ بحقِيقَتِه عَقلٌ ولا يُتصوَّرُ في الذِّهن، إنّما يَجِبُ الإيمانُ بأنّه تعالَى متّصِفٌ بهذه الصِّفةِ مِن غيرِ تكييفٍ ولا تَمثِيلٍ.

(١) أي ظهَرَتْ.

(٢) هي بَعضُ قُصور بِلادِ الشّامِ.

(٣) بِبَيت المَقدِس.

(٤) فيه دَليلٌ لأهلِ السُنّة على استِحبابِ الصلاةِ في المواضِع المُبارَكة.

(٥) أي شَيطانًا خبِيثًا مُبالِغًا في التمرُّد.

(٦) أي يتَتبَّعُه بِها، والشُّعلةُ ما اتُّخِذَت فيه النّارُ والْتَهبَتْ فيه.

(٧) أي رسولُ اللهِ ﷺ.

(٨) أي سقَطَ علَى فَمِه.

فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: بلَى، فقال جِبريلُ: قُل: أعُوذُ بِوَجهِ اللهِ(١) الكَريمِ(٢) وبِكَلِماتِ اللهِ(٣) التّامّاتِ(٤) الّتي لا يُجاوِزُهُنّ بَرٌّ ولا

(١) أي بذاتِ اللهِ، فإنّ الوَجهَ إذا أُضِيفَ إلى اللهِ فقِيلَ «وَجهُ اللهِ» لا يُرادُ بذلكَ العُضوُ المعروفُ مِن الإنسانِ، حاشا للهِ وتنزَّه اللهُ عن مُشابهةِ المخلوقاتِ، فاللهُ ليسَ جِسمًا ولا يُشبِهُ الأجسامَ كما أنّه لا يُشبِهُ شيئًا مِن المخلوقاتِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. فإذا قِيلَ: «وَجْهُ الله» فقَد يُراد به ذاتُ اللهِ الّذي لا يُشبِهُ الذّوات ومِن ذلكَ قولُه تعالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي اللهُ موجودٌ أزلًا وأبدًا لا يَفنَى، وقَد يُراد بالوَجه ثَوابُ الله ورِضاهُ ومِن ذلكَ قولُه تعالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾، وقَد يُراد به القِبلةُ ومِنه قولُه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي قِبلةُ اللهِ أي الّتي وضَعها اللهُ لَكُم، فقد رُخِّص للعِباد في صَلاةِ النَّفْلِ في السَّفَر التوجُّه إلى الجِهة الّتي يَذهَبُون إليها، وهذا لراكِب الدابّةِ، ولا يُرادُ بالوَجه إذا أضِيفَ إلى اللهِ في مِثل هذا الجارحةُ أي العُضوُ، بل حُكمُ مَن يَعتقِدُ الجارحةَ للهِ التّكفِيرُ، لأنّه لو كانَ له عضوٌ لَجازَ علَيه الفَناء، تنزَّهَ اللهُ عن ذلكَ.

(٢) يعني اللهَ المتّصِفَ بعَظَمةِ القَدْر والسُّلْطان.

(٣) أي أتحصَّنُ بكَلام الله تعالَى، وكلامُ الله تعالَى يُطلَقُ ويُرادُ بِهِ صِفَتُهُ الذاتيّة الأزليّة الأبديّة، كما يُراد به القرءانُ الّذَي هو عبارةٌ عن كلام الله الذّاتيّ. فإذا أُريد به الصِّفةُ الذّاتيّة فهو ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً ولا يُشبِهُ كلام المخلوقاتِ، وقد يجيءُ بلَفظ الجمع للتّعظيم «كلِمات الله» وليس هو للدّلالةِ على تعدُّدِ كلام الله، فكلامُ اللهِ الأزليُّ واحِدٌ لا يَتعدَّد ولا يَتبعَّض، بل هو جمعٌ للتّعظيم، قال عزّ وجلّ: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾. وأمّا القُرءانُ أي الألفاظُ المنزّلةُ الّتي هي عبارةٌ عن كلام الله فهي حروفٌ وكلماتٌ مُحدَثةٌ مخلوقةٌ لَها بدايةٌ ونهايةٌ.

(٤) إنْ أُريد بكلام الله تعالَى صِفتهُ فالتامّ معناهُ الكامِلُ لأنّ صِفاتِ اللهِ كامِلةٌ لا نقصَ فيها، وإنْ أُريد بكلام الله الألفاظُ المنزّلةُ كالقرءانِ فوصفُها بالتّامّات معناه أنّه لا يدخُلها نقصٌ، فليسَتْ هي مِن تأليفِ مخلوقٍ، وقيل: التّامّاتُ هنا النّافعةُ. أمّا ما جاء في قولِه تعالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فليسَ معناهُ أنّ كلامَ اللهِ الذّاتِيَّ=

فاجِرٌ[١] مِن شَرِّ ما يَنزِلُ مِن السَّماءِ[٢] ومِن شَرِّ ما يَعرُجُ فِيها[٣] ومِن شَرِّ ما ذَرَأَ في الأَرضِ[٤] ومِن شَرِّ ما يَخرُجُ مِنها[٥] ومِن فِتَنِ اللَّيلِ والنَّهارِ[٦] ومِن طَوارِقِ اللَّيلِ والنَّهارِ[٧] إلّا طارِقًا يَطرُقُ

= الّذي هو صِفَتُه كان ناقِصًا ثُمّ تَمَّ، حاشاه، بل معناهُ أنّ اللهَ أخبرَنا بأنّه حَكَم وقضَى أزلًا وقَدَّر أنْ يكونَ أكثرُ النّاسِ في الآخِرة في جهنَّم، وحُكمهُ تامٌّ أي لا يُنقَضُ ولا يَتخلّفُ مُرادُه.

(١) فيه للعُلماء تفسيراتٌ: فقال بعضُهم: معناهُ أنّ البَرَّ والفاجِرَ لا يَتجاوَزُ حالُهما ما قضَى اللهُ لَهُما، فأمّا البَرُّ أي الطّائعُ فله الثّوابُ الجزيلُ، وأمّا الفاجِرُ أي العاصي والكافِرُ فلِكُلٍّ عذابُه على حسَبِ حالِه. وقال بعضُهم: معنَى «**لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولَا فَاجِرٌ**» لا يَزيدُ أحَدٌ في التّمام على كلِماتِ القرءانِ أي اللّفظِ المنزَّلِ ولا يَستدرِكُ علَيها، فإنّ القرءانَ أبلَغُ كلامٍ عربيّ ولَا يَدخُلُه عَيبٌ، قال الله تعالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾، وقال أيضًا: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

(٢) أي مِن العذابِ كالصّواعِق. وقال شيخُنا الهرريُّ رحمه اللهُ: «هذا يَدخُل فيه الفَضاءُ الّذي دُونَ السّماواتِ، أي أستعِيذُ مِن شَرّ الجِنّ الّذِين في الفَضاء، ويَجوزُ أنْ يَكُون المرادُ ما تُؤمَرُ به الملائكةُ مِن إيقاعِ الهلاكِ بِبَعضِ المخلُوقِين».

(٣) قال شيخُنا الهرريُّ رحمه اللهُ: «أي ما يَصعَدُ به الملائكةُ مِن سُوءٍ أي مِن أعمالِ الشّرّ الّتي يَرفَعُونَها إلى سِجِلّ تُسَجّل فيه في السّماءِ» اهـ. وقال بعضُ العُلماء: سَمّاها شَرًّا باعتبار أنّ الأعمالَ السّيّئةَ شَرٌّ بنَفْسِها ولأنّها تَجلِبُ الوَبالَ على العاصِي مُرتكِبها.

(٤) أي ما خَلَق على ظَهرِ الأرضِ.

(٥) أي مِمّا في بَطنِها مِن الهوَامّ ونَحوِها مِن المُؤذِياتِ.

(٦) يَحتمِلُ أنْ يُراد بِه الّتي تُصِيبُ في اللّيلِ والنّهارِ بمعنَى الواقِعةِ فِيهما، أو أنْ يُرادَ الفِتَنُ الّتي يَستعِينُ أهلُها علَيها باللّيلِ فيستتِرُون بِه ويَتوصَّلُون فيه إلَيها وكذلك النّهارُ.

(٧) أي حوادِثِه الّتي تأتي ليلًا ونَهارًا.

بِخَيرٍ(١) يا رَحمنُ، فانْكَبَّ لِفيهِ(٢) وطَفِئَتْ شُعْلَتُه.

فسارُوا حتَّى أتَوا علَى قَومٍ(٣) يَزرَعُون في يَومٍ ويَحصُدُونَ في يَومٍ(٤)، كُلَّما حصَدُوا عادَ كما كانَ(٥)، فقال: يا جِبريلُ ما هذا؟ قال: هؤلاءِ المُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللهِ(٦) تُضاعَفُ لهُم الحسَنَةُ بِسَبعِمائةِ ضِعفٍ(٧)، وما أنفَقُوا مِن شَىءٍ(٨) فهُو يُخْلِفُه(٩).

ووَجَدَ(١٠) رِيحًا طيِّبةً فقال: يا جِبريلُ ما هذِه الرائِحةُ؟ فقال: رائِحةُ

---

(١) الطَّرْقُ الإتيانُ باللّيلِ، وقَد يُذكَر النّهارُ معَه تبَعا، ومعناهُ أستجيرُ باللهِ مِن كُلّ ءاتٍ في اللّيلِ إلاّ ءاتِيًا فِيه بِخَيرٍ.

(٢) أي سقَطَ على فَمِهِ.

(٣) أي مُثِّلَ له قَومٌ صِفَتُهم كَذا بأنْ صوَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُم أمثالًا فرءاهُم النّبيُّ ﷺ، وفي ذلكَ تمثِيلٌ لِما ينالُه قومٌ مِن الأجرِ الكبيرِ المُضاعَفِ إلى أضعافٍ كثِيرةٍ على عمَلِ البِرّ.

(٤) أي في اليومِ التّالي لِيومِ الزَّرعِ.

(٥) أي يَنبُت مكانَه غيرُه.

(٦) أي المُجاهِدُون بالسّلاحِ لإظهارِ دِين الإسلامِ ونُصرةِ الحَقِّ.

(٧) ويَزِيدُ اللهُ مَن يشاءُ أكثَرَ مِن ذلكَ أضعافًا.

(٨) أي في الجَهازِ للجِهادِ في سَبِيل اللهِ، وقَد يَدخُلُ فيه النَّفقةُ الّتي ابْتُغِيَ بها مَرضاةُ اللهِ وإنْ كانتْ في غيرِ الجِهادِ مِن وجُوهِ البِرّ.

(٩) في هذا اقتِباسٌ مِن قولِ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سُورة سبَأ: ٣٩].

(١٠) أي وشَمَّ في موضِعٍ ءاخَر مَرّا بِه.

ماشِطةِ بنتِ فِرعونَ وأولادِها(١)، بَينَما(٢) هي تَمشُطُ(٣) بِنتَ فِرعونَ(٤) إذْ سقَطَ المُشْطُ(٥) فقالت: بِسمِ الله، تَعِسَ(٦) فِرعونُ، فقالتِ ابنةُ فِرعونَ: أَوَ لَكِ رَبٌّ غيرُ أبِي؟ فقالت: نعَم(٧)، قالت: أفأُخبِرُ بذلِكَ أَبِي؟ قالت: نعَم، فأخبَرَتْه فدَعا بها فقال: أَلَكِ رَبٌّ غَيرِي؟ قالت: نعَم رَبِّي ورَبُّكَ اللهُ. وكان للمَرأةِ ابْنانِ(٨) وزَوجٌ(٩)، فأرسَلَ إليهِم(١٠) فَراوَدَ المَرأةَ وزَوجَها أنْ يَرجِعا(١١) عن دِينِهِما(١٢) فأَبَيا، فقال: إنّي

(١) أي رائحةٌ تَفُوحُ مِن قُبورِهم.
(٢) أي كان مِن شأنِها وأمرِ أولادِها كذا وكذا.
(٣) بضَمّ الشّين وكَسرِها.
(٤) أي تُسرّحُ شعرَها.
(٥) بتَثليث المِيم.
(٦) بكَسرِ العَين وقد تُفتَح، ومعناهُ هنا خَسِر وخابَ، وفي الأصلِ عثَرَ وانكَبَّ لِوَجْهِه.
(٧) أي ليسَ فِرعونُ بِرَبٍّ، رَبّي ورَبُّ أبيكِ هو اللهُ.
(٨) أي سِوَى الرَّضِيع.
(٩) حُكِي أنّ زوجَها كانَ خازِنًا لِفِرعونَ أي مِن عُمّالِه.
(١٠) أي فِرعَونُ.
(١١) أي أرادَهُما على أنْ يَرجِعا بمعنَى طلبَ مِنهُما ذلكَ، يُقال: راوَدَه بمعنَى أرادَه على أنْ يَفعَل كذا.
(١٢) وهو دِينُ الإسلام الدِّينُ الحَقُّ الّذي لا يَقبَلُ اللهُ مِن العَبدِ دِينًا غيرَه، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سُورة ءال عِمران: ١٩].

قاتِلُكُما[١]، قالت: إحْسانًا مِنكَ إلَينا إنْ قتَلْتَنا[٢] أنْ تَجعلَنا في بَيتٍ[٣] واحدٍ فتَدْفِنَنا فيه جمِيعًا، فقال: ذلكَ لكِ بما لكِ علَينا مِن الحَقّ[٤]، فأَمَرَ ببَقَرةٍ[٥] مِن نُحاسٍ فأُحمِيَتْ[٦] ثُمّ أُمِرَ بها لِتُلْقَى فيها هي وأَولادُها[٧]، فأُلقُوا[٨] واحِدًا واحِدًا[٩] حتَّى بلَغُوا أصغَرَ رَضِيع فيهِم[١٠] فقال: يا أُمّاهُ قَعِي ولا تَقاعَسِي[١١] فإنّكِ على الحَقِّ

(١) أي إنْ لَم تَرجِعا.

(٢) أي إنْ قتَلْتَنا بَغيًا وظُلمًا فأحسِنْ دَفنَنا.

(٣) أي قَبرٍ.

(٤) أي في الخِدمةِ.

(٥) هو القِدرُ الواسِعُ الكبيرُ، وليسَ هو شيئًا مَصُوغًا على صُورة البَقَرةِ ولكنّه واسِعٌ مأخوذٌ مِن التَبقُّرِ وهو التوسُّعُ.

(٦) أي بِما فِيها مِن ماءٍ وزَيتٍ.

(٧) أي وزَوجُها معَهُم.

(٨) أي طُرِحُوا في القِدْرِ.

(٩) أي واحِدًا بَعدَ واحِدٍ.

(١٠) ظاهِرُ العِبارةِ وُجودُ أكثر مِن رضِيع وهذا أصغَرُهم، ويُمكِنُ حملُ الكلامِ على معنَى أنهم وصلُوا إلى رَمِي الأصغَرِ بينَ الأبناءِ وهو رَضِيعٌ فيهِم، وفي رواية: «**حتَّى بَلَغُوا إلى صَغِيرٍ رَضِيعٍ فِيهِم**».

(١١) أي سلِّمِي أمرَكِ للهِ ولا تَرجِعي عن الحَقِّ، وليسَ معنَى «قَعِي» ارمِي بِنَفسِك في القِدرِ.

المُبينِ[١]، فأُلقِيَتْ هي وأولادُها[٢].

قال[٣]: وتَكلَّم في المَهدِ[٤] أربعَةٌ[٥] وهُم صِغارٌ: هذا[٦] وشاهِدُ يوسُفَ[٧]

---

(١) أي البَيّن الظاهِر.

(٢) أي ألقاها جماعةُ فِرعونَ وأولادَها وزَوجَها في قِدْر الماء والزَّيتِ المُغْلَيَينِ واحِدًا تِلوَ الآخَر فماتُوا.

(٣) أي الرّاوي، وهو ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهُما عِندَ أحمدَ وابنِ جَريرٍ والبَيهقيّ.

(٤) أي في الطُّفولةِ قَبلَ الأوانِ المُعتادِ للكَلام.

(٥) وقال السُّيوطيّ سِتّةٌ، وقال غيرُه: ثَمانيةٌ.

(٦) يعنِي الرَّضِيعَ ابنَ الماشطةِ، قيل: كان ابنَ سَبعةِ أشهُرٍ.

(٧) حِينَ اتّهَمَتْ زَليخا زُورًا وبُهتانًا سيّدَنا يُوسفَ ﷺ بأنّه راودَها عن نَفسِها، أنطَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ صَبيًّا في المَهدِ كانَ في دارِهم - قيل كان ابنَ خالِها أو ابنَ خادِمةٍ عندَها - فقال كما أخبرَ اللهُ حِكايةً عن ذلكَ: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ﴾ أي شُقَّ ﴿مِن قُبُلٍ﴾ أي مِن قُدّامِه ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝﴾ فأظهَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ براءةَ يُوسفَ ﷺ على لِسانِ طِفلٍ مِن أهلِ زَليخا تكلَّم في المَهدِ وهو ابنُ شَهرَين، وحُصولُ ذلكَ على هذا النَّحوِ المُخالِف للعادةِ أدَلُّ للحاضرين علَى نَزاهةِ سيّدنا يوسفَ ﷺ وأنفَى للتُّهَمة عنه، وهو عليه السّلامُ بريءٌ في نَفسِ الأمرِ والواقِعِ مِمّا رمَتْهُ به زَليخا لأنّ شأنَه كسائرِ الأنبياءِ أنّه معصومٌ مِن الكُفرِ والكبائرِ والذُّنوب الدالّةِ على خِسّةِ النَّفسِ ودَناءَتِها قَبلَ النُّبُوّةِ وبَعدَها، حاشا لِنبّيّ مِن أنبياءِ اللهِ أنْ يَهُمَّ بالزِّنَى. فليُحذَر مِمّا في بعضِ الكُتبِ مِمّا فيه طَعنٌ في سيّدنا يُوسَف عليه السّلامُ وَتنقيصٌ مِن عِصمَتِه حيثُ يقول بعضهم: «حلَّ سَراويلَه وقَعَد مِنها مَقعَدَ الرَّجُلِ مِن امرأتِه» فنِسبةُ ذلكَ إلى نَبيّ مِن أنبياءِ الله كُفرٌ وضَلالٌ مُبينٌ، وقَد حذَّر الحافظُ ابنُ الجوزيّ رحمه اللهُ مِن هذه العِبارة في تَفسيرِه، فنِسبَتُها إلى ابنِ عبّاسٍ كذِبٌ مفضوحٌ.

وصاحِبُ جُرَيجٍ[(١)] وعِيسَى بنُ مَريمَ[(٢)].

وأتَى علَى قَومٍ[(٣)] تُرضَخُ رؤوسُهم[(٤)]، كُلَّما رُضِخَتْ عادَتْ كما كانتْ[(٥)] لا يُفتَّرُ[(٦)] عنهُم مِن ذلكَ شَيءٌ، فقال: يا جِبريلُ مَن هؤلاءِ؟ قال: هؤلاءِ الّذين تَتثاقَلُ رُؤوسُهم عن الصّلاةِ المَكتوبةِ[(٧)].

---

(١) ثبتَ في الصّحيح عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**كانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إسْرائِيلَ يُقالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي، فجاءَتْهُ أُمُّهُ، فدَعَتْهُ، فأبَى أن يُجِيبَها، فقالَ: أُجِيبُها أوْ أُصَلِّي، ثُمَّ أتَتْهُ فقالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِساتِ، وكانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فقالَتِ امْرَأةٌ: لَأفْتِنَنَّ جُرَيْجًا، فتَعَرَّضَتْ لَهُ، فكَلَّمَتْهُ فأبَى، فأتَتْ راعِيًا، فأمْكَنَتْهُ مِن نَفْسِها، فوَلَدَتْ غُلَامًا فقالَتْ: هُوَ مِن جُرَيْجٍ، فأتَوْهُ، وكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فأنْزَلُوهُ وسَبُّوهُ، فتَوَضَّأ وصَلَّى ثُمَّ أتَى الغُلَامَ، فقالَ: مَن أبُوكَ يا غُلَامُ؟ قالَ: الرّاعِي، قالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِن ذَهَبٍ، قالَ: لَا، إلّا مِن طِينٍ**». ومعنَى: «مَن أبُوكَ» أي صُورةً، ومعناهُ مِن ماءِ مَن أنتَ.

(٢) وقد أخبرَ الله عمّا حصَل مع سيّدنا عيسَى ﷺ في القُرءان فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ أي سيُؤتِيني الكِتابَ ويُنبّئُني ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾.

(٣) أي مُثّلَ له قَومٌ صِفتُهم كَذا بأنْ صوّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُم أمثالًا فرءاهُم النّبيُّ ﷺ.

(٤) أي تُكسَرُ بشيءٍ صُلْبٍ.

(٥) أي قبل الكَسرِ، ثُمّ كُسِرَتْ مرّة أُخرى ثُمّ عادتْ كما كانتْ قَبل الرَّضحِ وهكَذا.

(٦) أي لا يُخفَّفُ.

(٧) أي يتكاسَلُون عن تأدِيةِ الصّلاةِ المفرُوضةِ.

ثُمّ أتَى علَى قومٍ علَى أقبالِهِم[١] رِقاعٌ[٢] وعلَى أدبارِهم رِقاعٌ يَسرَحُونَ كما تَسرَحُ الإبِلُ والغنَمُ ويأكلُون الضَّرِيعَ[٣] والزَّقُّومَ[٤] ورَضْفَ جَهنَّمَ[٥] وحِجارتَها، فقال: مَن هؤلاءِ يا جِبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الّذِين لا يُؤَدُّونَ صَدَقاتِ أموالِهم[٦]، وما ظلَمَهُمُ اللهُ شيئًا.

ثُمّ أتَى علَى قومٍ بَين أيدِيهم لَحمٌ نَضِيجٌ[٧] في قُدُورٍ ولَحمٌ ءاخَرُ نِيْءٌ[٨] خَبِيثٌ[٩]، فجَعَلُوا يأكلُونَ مِن النِّيءِ الخَبِيثِ ويَدَعُونَ النَّضِيجَ

---

(١) جَمع قُبُل.

(٢) جَمع رُقعة.

(٣) شجَرٌ قبيحُ المنظَر كريهُ الرّائحةِ شدِيد المَرارةِ طَعمًا، وقيل هو شَوكٌ مِن نارٍ.

(٤) صِنفٌ ءاخَرُ مِن الطَّعامِ الّذي يُكرَه عليه أهلُ النّارِ، رائحتُه نَتِنةٌ ومنظَرُه مُخوِّفٌ وطعمُه كريهٌ جدًّا.

(٥) حِجارَتُها المُحمّاةُ. وقَد جاءَ في بعضِ الأحاديثِ أنّ رَضفَ جهنَّم يكونُ طعامَ بعضِ عُصاةِ المُسلمِين مِن أهلِ الكبائِر، مِن ذلكَ مَن يأكُلُ أموالَ النّاسِ بغيرِ حَقّ بشَحاذةٍ مُحرَّمةٍ، فقَد روَى التِّرمذيُّ في سُنَنِه عن حُبْشِيّ بن جُنادةَ السَّلُوليّ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ لِغَنِيّ ولَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيّ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ**» أي شدِيدٍ «**أو غُرْمٍ مُفْظِعٍ**» أي دَينٍ ثقِيلٍ «**ومَن سَأَلَ النّاسَ لِيُثْرِيَ بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشًا**» أي خُدوشًا «**في وجهِهِ يومَ القِيَامَةِ ورَضْفًا يَأْكُلُهُ مِن جَهَنَّمَ**» الحديثَ.

(٦) أي يَمتنِعُون مِن أداءِ الزّكاةِ الواجبةِ علَيهم بغَيرِ عُذرٍ.

(٧) أي ناضِجٌ وطيِّبٌ.

(٨) أي غيرُ ناضِجٍ.

(٩) أي مُنتِنٌ طَعمًا ولَونًا ورائحةً.

الطيِّبَ، فقال: ما هذا يا جبريلُ؟ فقال: هذا الرّجُلُ[١] مِن أمَّتِك تكونُ عِندَه المرأةُ الحَلالُ الطيّبةُ[٢] فيَأتِي امرأةً خَبيثةً[٣] فيَبيتُ عِندَها حتّى يُصبِحَ، والمرأةُ تَقومُ مِن عِندِ زوجِها حَلالًا طيّبًا فتأتِي رجُلًا خَبيثًا فتَبِيتُ معَه حتّى تُصبِحَ.

ثُمّ أتَى على خشَبةٍ على الطّرِيق[٤] لا يَمُرُّ بها ثَوبٌ ولا شيءٌ إلا خرَّقَتْه[٥]، فقال: ما هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا مَثَلُ أقوامٍ مِن أمّتِكَ يَقعُدُونَ علَى الطّرِيقِ فيَقطَعُونَه[٦]، وتَلا قولَه تعالَى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾[٧].

ورأَى رَجُلًا يَسْبَحُ في نهَرٍ مِن دَمٍ يُلْقَمُ الحِجارةَ[٨] فقال: مَن هذا يا

(١) أي مَثَلٌ لبَعضِ الرِّجالِ.

(٢) أي الّتي تَحِلُّ لَه.

(٣) أي امرأةً تَحرُم عليهِ، وهي خبيثةٌ لِتمَكنيها إيّاه مِن نَفسِها في الحَرامِ.

(٤) أي مُلقاةً بِجانِبه.

(٥) أي مزَّقَتْه إن كان ثوبًا ونحوَه وألحقَتْ بغَيرِ نَحوِ الثَّوبِ أذًى مِن كَسرٍ وجَرحٍ بواسطةِ شَوكِها وشُعَبِها.

(٦) وقَطعُ الطَّرِيقِ هو البُروزُ للمارّةِ فيه لأخذِ مالٍ أو لقَتلٍ أو إرعابٍ مُجاهَرةً اعتِمادًا علَى القُوّةِ.

(٧) أي تُهدِّدُون المارّةَ.

(٨) أي تُلقَى الحِجارةُ في فَمِه فيَبتلِعُها.

جِبريلُ؟ فقال: مَثَلُ ءاكِلِ الرِّبا[١].

ثُمّ أتَى علَى رجُلٍ قد جَمَع حُزْمةَ[٢] حطَبٍ لا يَستطِيعُ حَمْلَها وهو يَزِيدُ علَيها[٣]، فقال له: ما هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا الرّجُلُ مِن أمّتِكَ تَكونُ عِندَه أماناتُ النّاسِ لا يَقْدِرُ على أدائِها[٤] ويُرِيدُ أنْ يَتحَمَّل علَيها[٥].

وأتَى علَى قَومٍ تُقْرَضُ[٦] ألْسِنَتُهم وشِفاهُهم بمَقارِيضَ مِن حَدِيدٍ[٧]، كُلَّما قُرِضَتْ عادَتْ كما كانتْ لا يُفَتَّرُ[٨] عنهُم، فقال: مَن هؤلاءِ يا جِبريلُ؟ قال: هؤلاءِ خُطَباءُ الفِتْنةِ[٩]، خُطَباءُ أمّتِكَ[١٠] يَقُولُون ما لا

---

(١) يُغمَس بذلكَ جزاءً على انغماسِه في الحرامِ في الدُّنيا ويُلقَم الحجَرَ جزاءً على أكلِه المالَ بالباطِل.

(٢) بضمّ الحاءِ وكَسرِها أي مجمُوعة.

(٣) أي يضُمّ إليها غيرَها.

(٤) أي يأكُلُها ويُفرِّط بِها.

(٥) أي ويَطمعُ أن تُوضَع عِندَه أماناتٌ أُخرَى ليأكُلَها أيضًا.

(٦) أي تُقَصّ.

(٧) وفي رواية: «بِمَقارِيضَ مِنْ نَارٍ» أي بمِقَصّاتٍ.

(٨) أي لا يُخفَّفُ.

(٩) أي الّذين يَفتِنُون النّاس يعني الّذين يَدعُون النّاس للضّلالِ والفَسادِ باسْمِ الدِّين، فالدَّعوَى الّتي يَزعمُونَها الإصلاحُ والهِدايةُ ولكنّها في الحقيقةِ إفسادٌ وإضلالٌ.

(١٠) أي بعضُ الخُطَباء، والمرادُ بالخطِيب هنا كُلُّ مَن قعَدَ مَقعَد تَعليم العامّةِ.

يَفعَلُون(١).

ومَرَّ بِقَومٍ لهُم أظفارٌ مِن نُحاسٍ يَخْمُشُونَ(٢) بها وُجُوهَهم وصُدُورَهم فقال: مَن هؤلاءِ يا جِبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الّذِين يَأكُلُون لُحومَ النّاسِ(٣) ويَقَعُونَ في أَعراضِهِم(٤).

وأتَى على جُحْرٍ(٥) صَغيرٍ يَخرُجُ مِنهُ ثَورٌ عظِيمٌ(٦)، فجعَلَ الثَّورُ يُرِيدُ أن يَرجِعَ مِن حَيثُ خَرَجَ فلا يَستطِيعُ، فقال: ما هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا الرّجُلُ مِن أمّتِكَ يَتكلَّمُ بالكَلِمةِ العَظِيمةِ(٧) ثُمّ يَندَمُ علَيها فلا يَستطِيعُ أن يَرُدَّها(٨).

---

(١) أي يقُولون بأفواهِهم للنّاس: «ائتَمِرُوا بالمعرُوف وانتَهُوا عن المُنكَر»، مع أنّهُم في الحقيقةِ يدعُونَهم إلى الضّلالِ والفَسادِ.
رَوَى الشّيخان مِن حديثِ أُسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنه أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ ءامُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَءاتِيهِ».
(٢) بضمّ المِيم وكَسرِها أي يَخدِشُون ويَجرَحُون.
(٣) أي يَهتِكُونَ حُرُماتِ المسلمِين باغتِيابِهم بغَيرِ حَقٍّ.
(٤) أي يَهتِكُونَها، والعِرضُ محلُّ الذَّمّ والمَدحِ مِن الإنسانِ، ويُطلَق على النَّفْسِ.
(٥) وهو الثَقبُ المُستدِيرُ في الأرضِ.
(٦) أي ضَخمُ الجِسمِ.
(٧) أي السيِّئةِ الّتي عليه وَبالُها ولا يَنظُر في عاقبَتِها قبل أنْ يَتلفَّظ بها.
(٨) فإذا كانَتْ كلمةَ كُفرٍ والعياذُ باللهِ فقد خرَجَ مِن الإسلامِ وذهَبَتْ حسَناتُه ويجِبُ عليه=

وبَينَما هو[١] يَسِيرُ إذْ دَعاهُ داعٍ[٢] عن يَمِينِه: يا محمّدُ انظُرْنِي أسأَلْكَ[٣]، فلَم يُجِبْهُ، فقال: ما هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا داعِي اليَهُودِ[٤]، أمَا إنَّكَ لو أجَبْتَه لتَهَوَّدَتْ أمَّتُك[٥].

وبَينَما هو يَسِيرُ إذْ دَعاه داعٍ عن شِمالِه: يا محمّدُ انظُرْنِي أسأَلْكَ، فلَم يُجِبْهُ، فقال: ما هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا داعِي النَّصارَى[٦]، أمَا إنَّكَ لَو أجَبْتَه لتَنَصَّرَتْ أمَّتُك[٧].

وبَينَما هو يَسِيرُ إذْ هو بامْرأَةٍ حاسِرَةٍ عن ذِراعَيها[٨] وعلَيها مِن كُلّ

= الرُّجوع عن الكُفرِ بالنُّطقِ بالشّهادتَين، وقد رُوي عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لا يَرَى بِها بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النّارِ**»، وإنْ رَجَع إلى الإسلامِ قَبلَ المَوتِ لا تَعُودُ له الحسَناتُ الّتي ذهَبَتْ بكُفرِه، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾، وإنْ كان ما تلفَّظَ بِه ذَنبًا دُونَ الكُفرِ وجَبَ عليه التَّوبةُ بشُروطِها.

(١) أي رسولُ اللهِ ﷺ.

(٢) أي مُنادٍ.

(٣) أي انظُرْ نظرَ إقبالٍ عَلَيّ وتوَجّه إلَيّ لأسأَلَكَ.

(٤) أي دَعوةُ دِينِ اليَهُودِ وهي دَعوةٌ كُفريّةٌ، فلا دِينَ صحيحٌ إلّا الإسلام.

(٥) معناهُ لَم يَشإِ اللهُ أنْ تُجيبَه ولَم يشَأْ أن تتّبعَ مُعظَمُ أُمّتِكَ دِينَ اليَهُودِ.

(٦) أي دَعوةُ دِينِ النَّصرانيّة وهي دَعوةٌ كُفريّةٌ، فلا دِينَ صحيحٌ إلّا الإسلام.

(٧) معناهُ لَم يَشإِ اللهُ أنْ تُجيبَه ولَم يشَأْ أن تتّبعَ مُعظَمُ أُمّتِكَ دِينَ النَّصارَى.

(٨) أي كاشِفةً عنهُما كشأنِ المُتربّصِ بعدُوّه.

زِينَةٍ خَلَقَها اللهُ تَعالَى[١]، فقالت: يا محمَّدُ انظُرْنِي أسأَلْكَ، فلَم يَلْتَفِتْ إليها، فقال: مَن هذِه يا جِبريلُ؟ قال: تِلكَ الدُّنْيا[٢]، أمَا إنَّكَ لو أجَبْتَها[٣] لاخْتارَتْ أمَّتُكَ الدُّنيا علَى الآخِرةِ.

وبينَما هو يَسِيرُ إذْ[٤] هو بِشَيخٍ[٥] يَدْعُوه[٦] مُتنَحِّيًا عن الطَّرِيقِ[٧] يقُول: هَلُمَّ[٨] يا محمّدُ، فقال جِبريلُ: بل سِرْ يا محمَّدُ، فقال: مَن هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا عَدُوُّ اللهِ إبلِيسُ أرادَ أنْ تَمِيلَ إلَيهِ[٩].

وسارَ فإذَا هو بِعَجُوزٍ[١٠] على جانِبِ الطَّرِيقِ فقالت: يا محمَّدُ انظُرْنِي أسأَلْكَ، فلَم يَلْتَفِتْ إلَيها فقال: مَن هذه يا جِبريلُ؟ قال: إنّه لَم يَبْقَ مِن عُمرِ الدُّنيا إلاّ ما بَقِي مِن عُمرِ هذه العَجُوزِ[١١].

---

(١) أي مِن زِينةِ الدُّنيا.
(٢) أي صُوِّرَتْ في صُورةِ امرأةٍ صِفَتُها ما مَرَّ ذِكرُه.
(٣) معناهُ لَم يَشإِ اللهُ ذلكَ.
(٤) في بعضِ الرِّواياتِ: «فإذَا».
(٥) أي عَجُوزٍ طاعِنٍ في السِّنّ.
(٦) أي لِيُقبِلَ إليه.
(٧) أي مُتحيِّزًا عنها.
(٨) أي أقبِلْ.
(٩) وقَد عصَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ جميعَ الأنبياءِ مِن أنْ يكونَ للشّيطانِ عليهِم سُلطانٌ.
(١٠) وفي روايةٍ زِيادةُ «شَوْهاءَ» أي قبيحةٍ.
(١١) معناهُ هذه هي الدُّنيا وقد مُثِّلَتْ لكَ مَرّةً أُخرَى بصُورةِ امرأةٍ عَجُوزٍ قبيحةِ المَنظَرِ إشارةً إلى قُربِ زَوالِها.

وسارَ حتّى أتَى مَدِينةَ بَيتِ المَقدِسِ[١] ودَخَل مِن بابِها اليَمانِيّ[٢]، ثُمّ نَزَل عن البُراقِ[٣] ورَبَطَهُ ببابِ المَسجدِ[٤] بالحَلْقةِ[٥] الّتي كانَتْ تَربِطُه بها الأنبِياءُ[٦] علَيهِم الصّلاةُ والسّلامُ.

وفي روايةٍ أنّ جبريل أتَى الصَّخرةَ[٧] فوضَعَ إصبَعَه فيها فخَرَقَها[٨] وشَدَّ بها البُراقَ[٩].

---

(١) ويُسمَّى إيلِياءَ، وفيه لُغَتانِ: بَيتُ المَقدِس والبَيتُ المَقَدَّسُ، حكاه النوويُّ وغيرُه. ومعناهُ في الأصلِ المكانُ المُطهَّر أو بَيتُ المكانِ الّذي جُعِلَ فيه الطَّهارةُ أو بَيتُ مَكانِ الطَّهارةِ، وتَطهِيرُه علَى معنَى إخلائِه مِن الأصنامِ وإبعادِه مِنها أو على معنَى البرَكةِ الّتي طُرِحَتْ فيه وقيل غيرُ ذلكَ.

(٢) أي الّذي هو مِن جِهة اليَمِين مِن المدِينةِ لا مِن النِّسبةِ إلى جِهةِ بِلادِ اليَمَنِ.

(٣) أي واستَمَرَّ ﷺ سائِرًا بالبُراقِ في المدِينةِ حتّى بلَغَ بابَ المسجِدِ ثُمّ نزَلَ عن البُراقِ.

(٤) أي موضِعٍ عِندَ البابِ، وقال بعضُهم: هي حَلْقةُ بابِ المسجِد نَفْسُها.

(٥) الحَلْقةُ بإسكانِ اللاّم على اللُّغة الفَصِيحة المشهورةِ وجَمعُها حِلَقٌ وحَلَقٌ، قاله النّوويّ، وحكَى الجوهرِيُّ وغيرُه فَتحَ اللاّمِ.

(٦) أي يربِطُون بها دوابَّهُم، وفي ذلكَ تعليمٌ لأخذِ الاحتِياطِ في الأُمورِ والعمَلِ بالأسبابِ وأنّ ذلك لا يُنافِي التوكُّلَ علَى اللهِ جلَّ وعزَّ.

(٧) أي الّتي عِندَ المسجِد الأقصَى بِبَيتِ المَقدِس حيثُ بُنِي مَسجِدُ الصَّخرةِ في عَهدِ الخلِيفة الأُمَوِيّ مَروانَ بنِ عبدِ الملِك سنةَ اثنَتَين وسَبعِينَ للهِجرةِ.

(٨) أي ليَربِطَ بها البراقَ.

(٩) يَحتمِلُ أن تكونَ الصّخرةُ في الموضِع الّذي عُرِج منه بالنّبيّ ﷺ. وقَد حكَى بعضُ النّاس عن الصّخرةِ الّتي عُرِج بالنّبيّ ﷺ مِن ناحِيتِها أكاذيبَ لا تَصِحُّ، مِنها قولهم: إنّها تتحوَّلُ مَرجانةً بَيضاءَ، وأنّ مِياه الأرض كُلِّها تَخرُج مِن تَحتِها، وأنّها مُعلَّقةٌ في الهواءِ مِن كُلّ=

ودَخَلَ[١] المسجِدَ[٢] مِن بابٍ تَمِيلُ فيه الشَّمسُ والقَمرُ[٣]، ثُمّ صلَّى هو وجبريلُ كلُّ واحدٍ رَكعتَين[٤]، فلَم يَلْبَثْ إلّا يسيرًا[٥] حتّى اجتمَعَ ناسٌ كثيرٌ، فعرَفَ النّبيُّ ﷺ النَّبيّينَ مِن بينِ قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ، ثُمّ أذَّنَ مُؤذِّنٌ[٦] وأقِيمَتِ الصَّلاةُ فقامُوا صُفوفًا يَنتظِرُون مَن يَؤُمُّهُم[٧]، فأخَذ جبريلُ بِيَدِه[٨] فقَدَّمَه فصلَّى بهِم رَكعتَين.

وعن كَعبٍ: فأذَّنَ جِبريلُ ونزَلَتِ الملائكةُ[٩] مِن السَّماءِ، وحَشَرَ اللهُ تعالى له المرسَلِين[١٠] فَصلَّى النّبيُّ ﷺ بالملائكةِ والمرسَلِين.

= الجهاتِ، وأنّ علَيها مَوضِعَ قدَم النّبيّ محمّدٍ محفورًا، وأنّه لَمّا عُرِجَ بالنّبيّ إلى السّماءِ مِن ناحِيتِها ارْتفَعَتْ لاحقةً به فَأشارَ لها جِبريلُ أنِ اثْبُتِي، وغيرُ ذلكَ مِن الأباطِيل والحكاياتِ الّتي لا أصلَ لها مِمّا يَتداولُه النّاس. وهي موجودة اليومَ، وهي نحوُ ثلاثةَ عشَر مِترًا في ثمانيةَ عشَر مِترًا في ارتفاعِ مِترَين تقريبًا.

(١) أي رسولُ الله ﷺ.

(٢) أي الأقصَى.

(٣) أي بابٌ مِن جِهةِ المَشرِق.

(٤) تحيّةَ المَسجد.

(٥) أي عَقِبَ الصّلاةِ.

(٦) في روايةٍ ءاتيةٍ أنّه جِبريلُ عليه السّلامُ.

(٧) أي يقُومُ فيهِم إمامًا في الصّلاةِ.

(٨) أي بيَدِ نبيّنا ﷺ الشّريفةِ.

(٩) أي نزَلَ عددٌ كبيرٌ مِنهُم.

(١٠) أي جمَعَ له الأنبياءَ جمِيعًا.

فلمّا انصرَفَ قال جِبريلُ: يا محمّدُ أتَدرِي مَن صلَّى خَلْفَك؟ قال: لا، قال: كلُّ نبيٍّ بَعَثَه اللهُ تعالى.

ثُمّ أثْنَى كلُّ نَبيّ مِن الأنبياءِ علَى رَبّه بِثَناءٍ جَميلٍ[١] فقال النّبيُّ ﷺ: كُلُّكم أَثْنَى على رَبّه وأنا مُثْنٍ علَى رَبِّي، ثُمّ شرَعَ يقُول: الحَمدُ للهِ الّذِي أرسَلَنِي رَحمةً للعالَمِين[٢] وكافّةً للنّاسِ[٣] بَشِيرًا[٤] ونذِيرًا[٥] وأنزَلَ علَيَّ الفُرقانَ[٦] فيه تِبْيانُ كُلِّ شىءٍ[٧]، وجَعَلَ أمّتِي[٨] خَيرَ أمّةٍ أُخرِجَتْ لِلنّاسِ، وجعَلَ أمّتِي وسَطًا[٩]، وجَعَل أمّتِي هُمُ[١٠]

---

(١) أي حَمِدُوه ومَجَّدُوه بثَناءٍ حسَنٍ.

(٢) فاهتدَى بِهِ الإنسُ والجِنُّ.

(٣) أي لسائِرِ النّاسِ.

(٤) أي مُبشّرًا بالنّعِيم في الآخِرة لِمَن أطاعَ.

(٥) أي مُخوّفًا بالعُقوبةِ في الدُّنيا والآخرةِ لِمَن عصَى.

(٦) الفُرقانُ مِن أسماءِ القُرءان، سُمّي بِهِ لأنّه فرَق بينَ الحَقّ والباطِل.

(٧) أي بَيانُ ما يُحتاجُ إليه مِن أُمورِ الدِّين، فإنّ فيه نَصًّا على كثيرٍ مِن الأحكامِ الشّرعيّةِ ودِلالةً على حُجّيةِ اتّباعِ النّبيّ ﷺ فيما أخبَرَ بِهِ مِن غيرِ القرءانِ وعلَى حُجّيةِ العمَلِ بإجماعِ الأُمّةِ المُحمّديّةِ.

(٨) أي أُمّة الإجابَةِ.

(٩) أي جعَل فِيهم خِيارًا وشُهداءَ علَى النّاسِ عُدولًا فلا يَجتمِعُون على ضَلالةٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

(١٠) ضمِيرٌ مُبتدأٌ يُفيدُ الحصرَ، وليسَ ضميرَ فَصلٍ وإلّا لَقال: «هُم الأوّلِين والآخرِينَ».

الأوّلُـونَ[١] والآخِـرُونَ[٢]، وشَـرَحَ لـي صَـدرِي[٣]، ووضَـعَ عَـنّـي وِزْرِي[٤]، ورَفَعَ لي ذِكرِي[٥]، وجعَلَني فاتِحًا[٦] خاتِمًا[٧]، فقال إبراهيم ﷺ: بهذا فَضَلَكُم[٨] محمّدٌ ﷺ.

وأخَذَ[٩] النّبيَّ ﷺ مِن العطَشِ أشدُّ ما أخَذَه فجاءه جِبريلُ ﷺ بإناءٍ مِن خَمرٍ[١٠] وإناءٍ مِن لَبَنٍ[١١] فاختارَ اللَّبَنَ، فقال له جِبريلُ: اختَرتَ

---

(١) أي مُؤمِنو أمّةِ محمّدٍ ﷺ الأوّلونَ دُخولًا الجنّة قَبل سائِر الأُمم، وأمّا أوّلُ النّاسِ دُخولًا الجنّة على الإطلاقِ فالأنبياءُ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ، وصَّح في الحديثِ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السّابِقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ».

(٢) أي ءاخِرُ الأُمَمِ وُجودًا.

(٣) بأنْ ملأَه إيمانًا ويَقينًا وحِكمةً وعِلمًا.

(٤) أي خفَّفَ عنه أعباءَ القِيامِ بأمرِ النّبوّةِ، والوِزرُ الحِملُ الثَّقِيلُ.

(٥) أي رفعَ له ذِكرَه ﷺ بالنُّبوّة أو معناهُ رفعَ له ذِكرَه عِندَ الملائكةِ الكِرام في السَّماءِ أو بأَخذِ المِيثاقِ له علَى الأنبياءِ علَيهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ بأن يُؤمِنُوا بمحمّدٍ ﷺ ويُقِرُّوا بِفَضلِه أو معناهُ أنّ اللهَ تعالَى قَرَنَ ذِكرَ محمّدٍ ﷺ بذِكرِه في كَلِمة الشَّهادةِ والأَذانِ والإقامةِ والتشَهُّدِ والخُطَبِ وفي غَيرِ مَوضِعٍ مِن القُرءانِ.

(٦) أي أَعْلَى الأنبياءِ مَنصِبًا ودرَجةً.

(٧) أي ءاخِرَ الأنبياءِ بِعثةً.

(٨) أي زادَ علَيكُم فضْلًا.

(٩) أي أصابَ.

(١٠) أي مِن خَمرِ الجنّة اللّذِيذ الّذي لا يُسكِرُ ولا يُصدِعُ الرأسَ وليسَ مِن خَمرِ الدُّنيا الّذي هو نَجِسٌ لأنّ النَّجِس لا يكُون مَعرُوضَ الملائكةِ.

(١١) أي حَلِيبٍ.

الفِطرةَ(١)، ولو شَرِبتَ الخَمرَ لَغَوَتْ أمّتُك(٢) ولَم يَتّبِعْك مِنهُم إلّا القَلِيلُ.

وفي روايةٍ أنّ الآنِيةَ(٣) كانت ثلاثةً، والثالثُ فيه ماءٌ، وأنّ جِبريلَ قال له: لو شَرِبتَ الماءَ لغَرِقَتْ أمّتُك(٤).

وفي روايةٍ أنّ إحدَى الآنِيةِ الثّلاثةِ الّتي عُرِضَتْ علَيه كان فِيه(٥) عسَلٌ بدَلَ الماءِ، وأنّه رأى علَى يَسارِ الصَّخرةِ الحُورَ العِينَ(٦) وسَلَّم عليهِنّ فرَدَدْنَ علَيهِ السَّلامَ وسألَهُنَّ فأَجَبْنَه بما تَقَرُّ به العَينُ(٧).

ثم أُتِيَ بالمِعراجِ(٨) الّذي تَعرُجُ عليه أرواحُ بَنِي ءادمَ، فلَم تَرَ

---

(١) أي دِينَ الإسلام.

(٢) أي لانْهَمَكَتْ أُمّتُك في الشَرّ، مع أنّ الّذي حضَرَ عِندَه ﷺ كانَ مِن خَمرِ الجنّة اللذيذِ الطّاهِرِ الزكِيّ الّذي لا يُسكِرُ إلّا أنّ الله شاءَ أنْ يَختارَ سيّدُنا محمّدٌ ﷺ اللّبَنَ.

(٣) أي الّتي أتى بِها جِبريلُ عليه السّلامُ.

(٤) اختُلِفَ في معناه على وُجوهٍ، مِنها أنّه لكانَ مَوتُ أكثرِهم بالغَرَقِ.

(٥) أي الإناءِ.

(٦) أي كُشِفْنَ له مِن ذلكَ الموضِعِ فرَءاهُنّ وهُنّ في أماكنِهنّ في الجنّةِ، وقال بعضُ أهلِ السِّيَرِ: نَزَلْنَ معَ مَن نزَلَ مِن الملائكةِ. والحُورُ جَمعُ حَوراءَ وهي النَّقِيّةُ بَياضِ العَينِ الشَّدِيدةُ سَوادِها. والعِينُ جَمعُ عَيْناءَ وهي النَّجلاءُ العَينِ أي واسِعَتُها في حُسنٍ.

(٧) أي بما يحصُلُ به السُّرور. رُوي أنّهُنّ قُلْنَ له ﷺ «نَحنُ خَيراتٌ حِسانٌ، أزواجُ قَومٍ كِرامٍ».

(٨) أي المِرقاةِ المُدلَّى مِن السَّماءِ إلى الأرضِ، فكان صُعودُه ﷺ إلى السَّماءِ بواسِطَتِه ولَم يَكُن بواسِطةِ البُراقِ كما توهَّمَهُ بعضُهم، وهذا الّذي صحَّحه الحافظ السُّيوطيُّ وقال إنّه الّذي تَقرَّر في الأحاديثِ الصّحِيحةِ. =

الخلائِقُ أحسَنَ منه[١]، له مَرقاةٌ[٢] مِن فضّة ومِرقاةٌ مِن ذهَب[٣]، وهو مِن جَنّةِ الفِردَوسِ مُنضَدٌ[٤] باللُّؤلؤِ[٥]، عن يَمِينِه ملائكةٌ وعن يَسارِه ملائكةٌ، فصَعِدَ هو وجبريلُ حتّى انتهَى[٦] إلى بابٍ مِن أبوابِ سَماءِ الدُّنيا[٧] يقال له بابُ الحفَظةِ[٨] وعلَيه مَلَكٌ يُقالُ له إسماعيلُ وهو صاحِبُ سَماءِ الدُّنيا[٩] يَسكُن الهواءَ لَم يَصعَد إلى السَّماءِ قَطُّ ولم يَهبِط

= وقالَ شيخُنا رحمه الله: «المِرقاةُ ليسَ لها مَكانٌ مُحدَّدٌ كأنّها تُنَقّل، هذا السُّلَّمُ مَحجوب عنّا لا يَراه إلّا مَن كشَفَ اللهُ تعالَى له الحِجابَ. الرَّسولُ ﷺ رَقَى بمِرقاةٍ حقِيقي مِن الأرضِ إلى السَّماءِ الأولَى، وهي نَفسُ المِرقاةِ الّتي تَرقَى بِها رُوحُ المُؤمِن، لذلكَ عَينُه تظَلُّ مَفتُوحةً تَنظُرُ إلى هذه المِرقاةِ إلَّا إذَا أُغمِضَتْ. ثُمّ رقَى رسولُ اللهِ ﷺ مِن السَّماءِ الأُولَى إلى باقِي السَّماواتِ إمّا بهذه المِرقاةِ وإمّا بطَرِيقةٍ أخرَى».

(١) أي لَم تَرَ أحسَنَ مِن هذهِ المرقاةِ. قال شيخُنا رحمه الله: «المِرقاةُ سُلَّمٌ مَحسوسٌ مُباركٌ شيءٌ يَبْهَرُ الأنظارَ جَمِيلُ اللَّونِ».

(٢) بفَتحِ المِيم وكَسرِها.

(٣) أي دَرَجةٌ مِنهُ مِن ذهَبٍ وأُخرَى مِن فِضّةٍ وهكَذا.

(٤) أي مُرصَّعٌ.

(٥) قِيل إنّ في أحَدِ جَانِبَيها يَواقِيتَ حَمراءَ وفي الأُخرَى خَضراءَ.

(٦) أي وصَلَ.

(٧) أي القُرْبَى بالنِّسبة إلى الأرضِ وهي السّماءُ الأُولى.

(٨) كذلكَ هو في روايةٍ للبَيهقيّ.

(٩) أي خازِنُها الموكَل بأُمورٍ تتعلَّق بِها.

إلى الأرضِ(١) إلّا يومَ ماتَ النبيُّ(٢) ﷺ، وبَين يدَيهِ(٣) سَبعُونَ ألفَ ملَكٍ معَ كُلِّ مَلَكٍ جُندُه مائةُ ألْفِ ملَكٍ(٤)، فاستَفتَحَ جِبريلُ بابَ السَّماءِ(٥)، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك؟(٦) قال: محمدٌ، قيل: أوَ قَد أُرسِلَ إليه(٧)؟ وفي روايةٍ: بُعِثَ إلَيه؟ قال: نعَم، قيل: مَرحبًا به وأهلًا حيّاهُ اللهُ(٨) مِن أخٍ(٩) ومِن خلِيفةٍ(١٠) فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخلِيفةُ ونِعمَ المَجِيءُ جاءَ(١١)، ففُتِحَ لهما، فلمّا خَلَصا(١٢) فإذَا

(١) أي يُقِيمُ في الهواء عِندَ السَّماءِ الأُولَى.

(٢) وهذا لا يَثبُتُ.

(٣) أي تحتَ إمْرَتِه أعوانٌ له مِن الملائِكةِ.

(٤) قد جاء في حديثٍ عند الطَّبرانيّ في «المُعجَم الكَبير» مرفوعًا: «**إنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكًا يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَى سَبْعِينَ أَلْف مَلَكٍ كُلُّ مَلَكٍ عَلَى سَبْعِينَ أَلْف مَلَكٍ**».

(٥) أي طَلَبَ أنْ يُفتَح له بابُها.

(٦) قال بعضُ الشُّرّاح: في هذا دليلٌ على أنّ السَّماءَ جِسمٌ كثِيفٌ شَفّافٌ لا يَحجُب ما وَراءَه بدليلِ أنّ المَلَكَ عرَفَ أنّ معَه أحَدًا.

(٧) يعني هل طُلِب للعرُوج، وسؤال الملَكِ كان فَرَحًا واستِبشارًا لا استِبعادًا واستِنكارًا. قال الحافظ النوويُّ: «وليسَ مُرادُه الاستفهامَ عن أصل البِعثة والرِّسالة فإنّ ذلك لا يَخفَى عليه إلى هذه المُدّة، فهذا هو الصَّحِيح» اهـ.

(٨) أي عظَّمه اللهُ وأكرمَه.

(٩) أي في الإيمانِ، فإنّ الملائكةَ جمِيعَهُم على الإسلامِ.

(١٠) أي خَلِيفةٍ للهِ في الأرضِ بمعنَى أنّه يُطبِّقُ شرعَ اللهِ في الأرضِ.

(١١) أي مجيئُه ممدوحٌ.

(١٢) بفَتح اللّام أي وصَلَا.

فيها[١] ءادمُ عليه السّلامُ وهو أبو البشَرِ كهَيئتِه يومَ خَلَقَهُ الله تعالَى على صُورَتِه[٢]، تُعرَضُ علَيهِ[٣] أرواحُ الأنبياءِ وذُرِيّتِه المؤمِنين[٤] فيقولُ[٥]: رُوحٌ طيّبةٌ ونَفْسٌ طيّبةٌ[٦] اجعَلُوها في عِلِّيّينَ[٧]، ثُمّ تُعرَضُ علَيه أرواحُ ذُرِّيّتِه الكُفّارِ[٨] فيقولُ رُوحٌ خَبِيثةٌ ونَفسٌ خبيثةٌ اجعَلُوها في سِجّينٍ[٩]،

---

(١) أي السّماءِ.

(٢) أي على صُورة ءادمَ ﷺ الّتي خُلِقَ عليها ءادمُ وهي سِتُّونَ ذِراعًا طُولًا في سَبعةِ أذرُعٍ عَرضًا، فليسَ الضّميرُ في «صُورَتِه» راجِعًا إلى الله سُبحانَه وتعالَى، حاشا، لأنّ الله عزَّ وجلَّ ليسَ بذِي صُورةٍ ولا هَيئةٍ.

(٣) أي على ءادمَ ﷺ.

(٤) أي بعدَ قَبضِها.

(٥) أي مُثْنِيًا على رُوحِ الأتقياءِ مِن المؤمِنين.

(٦) أي طاهِرةٌ.

(٧) موضِعٌ فوقَ السّماءِ السّابعةِ فيه دِيوانٌ تُسجَّلُ فيه رُوحُ التَقِيّ بعدَ قَبضِها ثُمّ تُرَدُّ إلى الأرضِ، أمّا رُوحُ العاصِي مِن أهلِ الكَبائرِ فلَم يَرِدْ فيها شيءٌ أينَ تُسَجَّلُ.

(٨) أي يُكشَفُ له حالُها بعدَ قَبضِها مِن غيرِ أنْ تَدخُلَ السّماءَ، فإنّ رُوحَ الكافِرِ لا تَدخلُ السّماءَ، قال اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [سُورة الأعراف: ٤٠] معناهُ لا يَدخلُونها أبدًا.

(٩) موضِعٌ في الأرضِ السّابِعة فيهِ دِيوانٌ تُسجّل فِيهِ أسماءُ الكُفّار ثُمّ تُعادُ أرواحُهم إلى الأرضِ ويَبقَى الكافِرُ في عذابٍ رُوحًا وجسَدًا في القَبرِ، فإذَا بَلِيَ جسَدُه عادَت رُوحُه إلى سِجّينٍ فحُبِسَتْ هنالِكَ وبَقِيَتْ في عذابٍ إلى يَومِ بَعثِ الجسَدِ فيُعذَّبُ بعدَها الجسَدُ والرُّوحُ.

وعَن يمينِه أَسْوِدَةٌ[١] وبابٌ يَخرُج مِنهُ رِيحٌ طيّبةٌ، وعن شِمالِه أَسْوِدَةٌ وبابٌ يَخرُج منه رِيحٌ خبيثةٌ[٢]، فإذَا نَظَر قِبَلَ[٣] يَمينِه ضَحِكَ واسْتَبشَر[٤]، وإذَا نَظَر قِبَلَ شِمالِه حَزِنَ وبكَى[٥]، فسَلَّمَ علَيه النّبيُّ ﷺ فرَدَّ علَيه السّلامَ ثُمّ قال: مَرحبًا بالابنِ الصّالحِ والنَّبيّ الصّالِح، فقال النَّبيُّ ﷺ: مَن هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذا أَبُوكَ ءادمُ وهذه الأَسْوِدَةُ نِسَمُ بَنِيهِ[٦]، فأهلُ اليَمِين مِنهُم[٧] أهلُ الجنّة، وأهل الشِّمالِ مِنهُم أهلُ النّارِ، فإذا نَظر قِبَلَ يَمينِه ضَحِكَ وإذا نَظر قِبَل شِمالِه بكَى، وهذا البابُ الّذي عِندَ يَمينِه[٨] بابُ الجنّةِ إذَا نَظَر مَن يَدخُلُه مِن ذُرّيّتِه ضَحِكَ

---

(١) جَمعُ سَوادٍ أي شَخصٍ، وهي هنا الأرواحُ، فمعناهُ يُعرَض علَيه عَن يَمينِه الأرواحُ الطيّبةُ وهي أرواحُ المُتّقِينَ، وقيل: هي أرواحُ المؤمنِين الّذين كُتِبَ لهُم الموتُ على التّقوى إلّا أنّها أرواحٌ لم تَدخُلِ الأجسامَ بَعدُ.

(٢) معناهُ يُرَى البابُ جِهةَ شِمالِه وليسَ البابُ نفسُه في السَّماءِ ولا الرّائحةُ الخبيثةُ تدخُلُ السَّماءَ.

(٣) أي ناحيةَ.

(٤) أي فَرِحَ.

(٥) ولا يُنافِي ذلكَ كونُ ءادمَ ﷺ كسائِرِ الأنبياءِ في نعِيمٍ دائِمٍ.

(٦) أي أرواحُهُم. قيل: إنّها الأرواحُ الّتي قُدِّرَ لبَعضِها الشّقاوةُ ولبعضِها السّعادةُ إلّا أنّها لَم تدخُلْ أجسادَها بَعدُ، أمّا أرواحُ مَن كان قَد ماتَ إلى ذلكَ الوَقتِ مِن المؤمنِينَ والكافرِينَ فكُلٌّ في مَقامٍ على حسَبِ حالِها.

(٧) أي مِن الأرواحِ.

(٨) أي جِهةَ يَمينِه.

واستَبْشَر، والبابُ الّذي عن يَسارِه بابُ جهنَّم[١] إذَا نَظَر مَن يَدخُلُه مِن ذُرّيّتِه بكَى وحَزِنَ.

ثُمّ مَضَى[٢] هُنَيهةً[٣] فوَجَدَ[٤] ءاكلِي الرِّبا وأموالِ اليَتامَى والزُّناة وغيرَهُم علَى حالةٍ شَنِيعةٍ[٥] بِنَحوٍ مِمّا تَقدَّم[٦].

ثُمّ صَعِدَ إلى السَّماءِ الثّانِيةِ فاستَفتَحَ جِبريلُ، قيل: مَن هذا؟ قال: جِبريلُ، قيل: ومَن مَعَك؟ قال: محمّد ﷺ، قيل: أوَ قَد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعَم، قيل: مرحبًا بِه وأهلًا حيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خَلِيفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخلِيفةُ ونِعمَ المَجِيءُ جاءَ، ففُتِحَ لهُما، فلَمّا خَلَصا إذا هو بابْنَي الخالةِ عيسَى ابنِ مَريمَ ويَحيَى بنِ زكريّا[٧] شَبِيهٌ أحَدُهما بصاحِبِه

---

(١) ليسَ معناهُ أنّ بابَ جهنَّم في السّماءِ، إنّما يَرى مِن مَكانِه في السّماءِ البابَ وهو على جِهةِ يَسارِه، وبابُ جهنَّم في الحقيقةِ أسفل.

(٢) أي رسولُ الله ﷺ معَ جِبريلَ عليه السّلامُ.

(٣) أي قليلًا.

(٤) أي كُشِفَ له ﷺ مِن حَيثُ هو في السَّماءِ مِثالُ عذابِ مَن هُم تحتَ الأرضِ السّابعةِ في جهنَّم.

(٥) أي قبيحةٍ.

(٦) أي مِن الّذين كُشِفَ لهُ ﷺ حالُهم في إسرائِه على البُراقِ في الأرضِ.

(٧) فإنّ أُمّ يَحيَى ﷺ إيشاع بِنت فاقُوذ أختُ حَنّةَ بنتِ فاقُوذَ أُمّ مَريمَ عليها السّلامُ، فعِمرانُ بنُ ماثانَ زَوجُ حَنّةَ، وزكريّا ﷺ زَوجُ إيشاعَ، وَوَلَدَتْ إيشاعُ يَحيَى، وولَدَتْ حَنّةُ مَريمَ، فإيشاعُ خالةُ مَريمَ وحَنّةُ خالةُ يَحيَى، فَعِيسَى ويَحيَى علَيهِما السّلامُ ابْنا خالةٍ، وليسَ عِمرانُ هذا أبا مُوسَى رسولِ اللهِ ﷺ إذْ بَينَهُما فيما قِيلَ ألْفٌ وثَمانُمائةِ سَنةٍ، قاله القَسْطلّانِيُّ.

بثِيابهِما وشَعَرِهما ومعَهُما نفَرٌ مِن قومِهما(١)، وإذا بعِيسَى جَعْدٌ(٢) مَربوعٌ(٣) إلى الحُمرةِ والبَياضِ(٤) سَبِطُ(٥) الرَأسِ(٦) كأنَّما خَرَجَ مِن دِيماسٍ أي حمّامٍ(٧)، شَبِيهٌ بعُروةَ بنِ مَسعودٍ الثقَفِيّ(٨)، فسَلَّم علَيهِما فرَدّا علَيه السّلامَ ثُمّ قالا: مَرحبًا بالأخِ الصّالحِ والنَّبيّ الصّالحِ ودَعَيا له

---

(١) أي أُرِيَ ﷺ أمثِلةً لأُناسٍ مؤمنين مِن أتباعِ عِيسَى ويَحيَى عليهما الصّلاةُ والسّلامُ.

(٢) أي قَوِيّ البدَنِ مُجتمِعُه، وليسَ المُرادُ بِهِ شعَرَه لِما سيأتِي مِن وَصفِ شعَرِه عليه السّلامُ ولاقتِرانِ وَصفِ الجُعودةِ بوَصفِه أنّه مَربوعٌ، قاله الحافظ النوويّ في شرح مُسلِم.

(٣) أي مُعتدِلٌ ليسَ بالطّويلِ المُفْرِط ولا بالقصِير.

(٤) أي أسمَرُ مائلٌ إلى البَياضِ، فليسَ أسمرَ سُمرةً شدِيدةً.

(٥) بكَسر الباءِ مِن «سَبِط» ويجوزُ إسكانُها.

(٦) أي سَبِطُ الشّعَرِ معناهُ مُستَرسِلُ الشّعرِ ليسَ بِجَعدِه بل شعَرُه ناعمٌ.

(٧) أي مكانِ الاستِحمام الّذي يخرُج مِنه المرءُ وهو يَتقاطَرُ ماءً، وفُسِّر الدِّيماسُ هنا بالكِنّ أيضًا وهو المَكانُ الّذي يَستُرُ الإنسانَ مِن الشَّمسِ، وعلى كُلٍّ فالمرادُ بذلكَ حُسنُ سيِّدِنا عِيسَى ﷺ ونَضارَتُه ونُورُ وَجهِه الشّريفِ. قال الحافظ العسقلانيّ في «الفتح» (٦/ ٤٨٤): «المرادُ مِن ذلكَ وَصفُه بصَفاءِ اللَّونِ ونَضارةِ الجِسم وكَثرةِ ماءِ الوَجهِ».

(٨) هو صحابِيٌّ جليلٌ رضي الله عنه. رُوِي أنّه قَدِمَ علَى رَسولِ الله سنةَ تِسعٍ للهجرةِ فأسلَمَ، ثُمّ استأذَنَ النَّبيَّ في الخُروجِ إلى قَومِه لِيَدعُوَهم إلى الإسلام فقالَ لَه ﷺ: «**إنَّهُم إذًا قَاتِلُوكَ**»، فانصَرَفَ عُروةُ إلى قَومِه ودَعاهُم إلى الإسلام فخرَجُوا مِن عِندِه يأتَمِرُون بِه، فلَمّا طلَعَ الفَجرُ أَوفَى علَى غُرفةٍ له فأَذَّنَ بالصّلاةِ فخرَجَتْ ثَقِيفٌ مِن كُلِّ ناحِيةٍ فرَماهُ أوسُ ابنُ عَوفٍ مِن بَنِي مالِكٍ فأصابَ أَكْحَلَه فلَم يَرقَأْ دَمُه فماتَ رضي الله عنه. والأكحَلُ عِرقٌ غلِيظٌ في وسَطِ الذِّراعِ.

بِخَيرٍ[١].

ثُمّ صَعِدَ إلى السّماءِ الثّالثةِ فاستَفتحَ جِبريلُ، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمّد، قيل: أوَ قَد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به وأهلًا حيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خَلِيفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخلِيفةُ ونِعمَ المجيءُ جاءَ، ففُتِحَ لهُما فلمّا خَلَصا فإذا هو بيُوسفَ عليه السّلامُ ومعَه نفَرٌ مِن قومِه فسَلَّمَ عليه فرَدَّ عليه السّلامَ ثُمّ قال: مرحبًا بالأخِ الصّالحِ والنَّبيّ الصالحِ ودعا له بخَيرٍ، وإذا هو قد أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ[٢]، وفي روايةٍ: هو أَحسَنُ ما خَلَقَ اللهُ[٣]، قد فَضَلَ[٤] النّاسَ بالحُسنِ[٥]، كالقمَرِ لَيلةَ البَدرِ على سائِر الكواكِب، قال: مَن هذا يا جِبريلُ؟ قال: أخُوكَ يُوسُفُ.

ثم صَعِد إلى السّماءِ الرّابعةِ فاستَفتَح جبريل، قيل: مَن هذا؟ قال:

---

(١) ما ذُكِر هنا مِن كَونِ عيسَى ويحيَى عليهِما الصّلاةُ والسّلامُ في السّماء الثّانية هو أحدُ قولَينِ وقد رجَّحَه كثيرٌ مِن الحُفّاظ لثُبوتِه عِندَ الشّيخَين وغيرِهما بأسانيدَ صحيحةٍ، والقولُ الآخَرُ أنّهُما كانا في السّماءِ الثّالثةِ وأنّ يوسفَ ﷺ كان في الثانيةِ.

(٢) أي أُوتِي نِصفَ مِقدارِ الجَمالِ الّذي وُزّعَ بَين النّاسِ لا أنّه أُعطِيَ النِّصفَ وتُرِكَ للنّاسِ النِّصفُ. وجمالُ يوسُفَ ﷺ كان مَكشوفًا ولم يكُن مَصُونًا بالجَلال أي المَهابةِ، أمّا نَبيُّنا محمّدٌ ﷺ فإنّه قَد أُعطِيَ الحُسنَ كُلَّه لكنّ جمالَه كانَ مَصونًا بالجَلال.

(٣) أي مِن النّبيّينَ سِوَى محمّدٍ ﷺ.

(٤) أي فاقَهُم.

(٥) أي سِوَى نبيّنا محمّدٍ ﷺ.

جِبريلُ، قيل ومَن معَك؟ قال: محمّدٌ، قيل: أوَ قَد أرسِلَ إليه؟ قال: نعَم، قال: مرحبًا به وأهلًا حيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خَليفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخليفةُ ونِعمَ المجيءُ جاءَ، ففُتِحَ لهُما فلمّا خَلَصا فإذا هو بإدرِيسَ قد رَفَعَه اللهُ مَكانًا عَلِيًّا[1]، فسَلَّمَ علَيه فرَدَّ عليه السّلامَ ثُمّ قال: مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنَّبيّ الصالِحِ ودعا له بخَيرٍ.

ثُمّ صَعِدَ إلى السّماءِ الخامسةِ فاستَفتَح جبريلُ، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معَك؟ قال: محمّدٌ، قيل: أوَ قد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعَم، قيل: مرحبًا به وأهلًا حيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خَليفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخليفةُ ونِعمَ المجيءُ جاءَ، ففُتِحَ لهُما فلمّا خَلَصا فإذَا هو بهارُونَ ونِصفُ لِحيَتِه بَيضاءُ ونِصفُ لِحيتِه سَوداءُ تَكادُ تَضرِبُ[2] إلى سُرَّتِه مِن طُولِها[3]، وحَولَه قَومٌ مِن بَني إسرائيلَ وهو يَقُصُّ علَيهِم[4]، فسَلَّم عليه فرَدَّ عليه السلامَ ثُمّ قال: مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنَّبيّ الصالِحِ ودعا له بخَيرٍ، فقال: يا جِبريلُ مَن هذا؟ قال: هذا الرجُلُ المُحَبَّبُ في قومِه هارُونُ بنُ عِمرانَ.

---

(١) مَعناه رفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ إدريسَ ﷺ إلى دَرجةٍ عاليةٍ في القَدْر، فالرِّفعةُ هنا بعُلُوّ المرتَبةِ، وليسَ معناه أسْكَنَاه السّماءَ الرّابعةَ أو السّادسةَ وأنّه مات فيها كما يقُول بعضُهم، قَالَ تَعالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

(٢) أي تَصِلُ.

(٣) ولَم يَثبُت ذلكَ.

(٤) أي يُخبِرُهم ببعضِ الأخبارِ.

ثم صَعِد إلى السّماءِ السّادِسةِ فاستَفتَح جِبريلُ، قيل: مَن هذا؟ قال: جِبريلُ، قيل: ومَن معَك؟ قال: محمّدٌ، قيل: أوَ قَد أُرسِلَ إليه؟ قال: نَعَم، قيل: مرحبًا به وأهلًا حيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خَليفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخليفةُ ونِعمَ المجيءُ جاءَ، ففُتِحَ لهُما فجَعَل يَمُرُّ بالنَّبِيّ[1] والنّبيّين مَعهَم الرَّهْطُ[2] والنّبيّ والنَّبيّين معَهُم القَومُ والنَّبيّ والنَّبيّينَ ليسَ معَهُم أحَدٌ[3]، ثُمّ مَرَّ بِسَوادٍ عَظِيم[4] فقال: ما هذا؟ قيل: موسَى وقومُه، ولكِن ارفَعْ رأسَك، فرَفَعَ رأسَه فإذَا هو بِسَوادٍ عَظِيم قَد سَدَّ الأفُقَ[5] مِن ذا الجانِبِ ومِن ذا الجانِبِ، فقيل له: هؤلاءِ أُمَّتُكَ، وسِوَى هؤلاءِ سَبعُونَ ألفًا يَدخُلُون الجنةَ بِغَيرِ حِسابٍ[6].

فلمّا خَلَصا فإذَا هو بموسَى بنِ عِمرانَ رجُلٍ ءادَمَ[7] طُوَالٍ[8] كأنّه مِن

(١) أي المُنفرِد.

(٢) أي الجماعةُ القليلةُ ما دُونَ العشَرةِ، وقيل إلى الأَربعِينَ، وقيل غيرُ ذلكَ.

(٣) لأنّه لَم يُؤمِن به أحَدٌ.

(٤) أي جَماعةٍ كثيرةٍ، يُرَونَ مِن كَثرَتِهم كالسَّوادِ.

(٥) أي النَّواحِيَ.

(٦) أي لا يُشَدَّدُ علَيهم ولكنْ يحصُل لَهُم عَرضُ الأعمالِ وأخذُ الصُّحفِ.

(٧) أي لونُ بشَرتِه لونُ الأُدْمة، فليسَ أبيضَ مُشرِقًا بل أسمَرُ سُمرةً خَفِيفةً.

(٨) بضَمّ الطاءِ أي طَوِيلًا على ما كانَ في زمانِه.

رِجالِ أزْدِ شَنُوءةَ[١]، كَثِيرِ الشَّعَرِ، لو كانَ علَيه قَمِيصانَ لَنَفَذَ شَعَرُه دُونَهُما[٢]، فسَلَّمَ علَيه النَّبِيُّ ﷺ فرَدَّ عليه السّلامَ ثُمّ قال: مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنَّبِيّ الصالِحِ ثمّ دَعا له بخَيرٍ وقال: يَزعُم النّاسُ[٣] أنّي أكرَمُ بَنِي ءادمَ على اللهِ تعالَى، بل هذا أكرَمُ علَى اللهِ مِنّي[٤]، فلمّا جاوَزَهُ النّبِيُّ ﷺ بكَى[٥]، فقيل له: ما يُبكِيكَ؟ قال: أبكِي لأنّ غُلامًا[٦] بُعِثَ

---

(١) أي يُشبِهُهم في طُولِه وسُمْرَتِه الخفِيفةِ، ويُقالُ: إنّ رِجالَ شَنُوءةَ - وهُم قبيلةٌ قَحْطانيّةٌ مِن الأَزْدِ - غيرُ سِمانٍ.

(٢) ووَصفُ موسَى ﷺ بذلكَ ليسَ في مُعظَم الرِّواياتِ، والكلامُ هنا على رؤيتِه ﷺ لموسَى ليلةَ المِعراجِ ليسَ على الهيئةِ الّتي يكونُ عليها موسَى في الجنّة، فإنّ أهلَ الجنّة جُردٌ مُردٌ أي لا تَنبُتُ لهُم لِحيةٌ وليسَ علَى أذرِعَتِهم أو بُطونِهم أو صُدورِهم أو سِيقانِهم شَعَرٌ.

(٣) أي بعضُ النّاسِ.

(٤) أي أفضَلُ عِندَ اللهِ مَنزِلةً وقَدرًا.

(٥) وكانَ بُكاءُ موسَى ﷺ رِقّةً لِقَومِه وشفَقةً علَيهم لأنّهُ كان يُحِبُّ لَهُم أنْ لو كانُوا على خَيرٍ أكثَر مِمّا عَمِلُوا، فكما أنّ موسى ﷺ أشفَقَ على أُمّة محمّد ﷺ فأشارَ على سيّدنا محمّد ﷺ أنْ يطلُب مِن الله تخفيفَ عدَدِ الصّلواتِ عن أُمّتِه، فكذلكَ أشفَق هوَ على أُمّتِه فبكَى. ولا يُنافِي ذلكَ كونُ موسَى عليه السّلامُ كسائِرِ الأنبياءِ في نعِيم دائِم.
قال الخطّابيُّ وابنُ المُلقِّن والبَدرُ العَينيّ وغيرُهم: «لا يَجوز أنْ يُتأوّلَ بُكاؤُه على الحسَدِ له ﷺ، لأنّ ذلك لا يَلِيقُ بِصِفاتِ الأنبياءِ» اهـ.

(٦) وَصْفُه له بالغُلام ليسَ على سَبيل التّنقِيصِ بل للتّنوِيه بعظِيم كَرَمِ الله إذْ أعطَى مَن كانَ في ذلك السِنّ ما لَم يُعطِه أحدًا قَبْلَه مِمّن هو أسَنُّ منه، قالَه العسقلانيّ، والعربُ تُسَمِّي الرّجُلَ المُستَجمِعَ السِنّ غُلامًا ما دامتْ فيه بَقِيّةٌ مِن القُوّة، فالمرادُ استِقصارُ مُدَّتِه معَ استِكثارِ فضائِله واستِتمام سَوادِ أُمّتِه.

مِن بَعدِي يَدخُلُ الجنّةَ مِن أمّتِه أكثَرُ مِمّن يَدخُل الجنّةَ مِن أمّتِي، يَزعُم بَنُو إسرائيلَ أنّي أكرَمُ بَنِي ءادمَ على اللهِ، وهذا رجُلٌ مِن بَنِي ءادمَ خَلَفَنِي في دُنْيا[١] وأنا في أُخرَى[٢]، فلَو أنّه في نَفْسِه لَم أُبالِ ولكِن معَه أمّتُه[٣].

ثُمّ صَعِدَ إلى السّماءِ السّابعةِ فاسْتَفتَح جِبريلُ قيل: مَن هذا؟ قال جبريلُ، قيل: ومَن معَك؟ قال: محمّدٌ، قيل: أَوَ قد أُرسِلَ إليه؟ قال: نَعَم، قيل: مرحبًا به وأهلًا حيّاهُ اللهُ مِن أخٍ ومِن خَلِيفةٍ فنِعمَ الأخُ ونِعمَ الخليفةُ ونِعمَ المجيءُ جاءَ، ففُتِحَ لهُما فلمّا خلَصا فإذَا النّبيُّ ﷺ بإبراهِيمَ الخليلِ ﷺ جالِسٌ عِندَ باب الجنّةِ[٤] على كُرسِيّ مِن ذَهَبٍ مُسنِدٌ ظَهرَه إلى البَيتِ المعمُورِ[٥] ومعَه نَفَرٌ مِن قومِه، فسَلَّمَ علَيه النّبِيُّ ﷺ فرَدَّ عليه السّلامَ وقال: مرحبًا بالابنِ الصّالِح والنَّبِيّ الصالِح،

---

(١) أي بُعِثَ مِن بَعدِي في الدُّنيا.

(٢) أي في مَنزِلةٍ دُونَ مَنزِلَتِه أو معناهُ فارَقتُ الحياةَ الدُّنيا.

(٣) حاشَا أن يكونَ ذلكَ حسَدًا مِن موسَى ﷺ، ولكنْ يُحمَل ذلكَ علَى معنَى أنّ مُوسَى ﷺ كان يُحِبُّ لأمّتِه أن يكُونوا علَى خيرٍ أكثَرَ مِمّا عمِلُوا.

(٤) أي خارِج الجنّةِ فِي مَكانٍ يُحاذِي بابَها، لأنّ إبراهِيمَ ﷺ كان في السّماءِ السّابعةِ والجنّةُ فوقَها أبعدُ مِنها بمَسافةٍ.

(٥) هو بَيتٌ في السَّماء السّابعةِ في موضِع قَبل المكانِ الّذي سَمِعَ فيه رَسولُ اللهِ ﷺ صَرِيفَ أَقلامِ الملائكةِ في الصُّحفِ. ولهذا البَيتِ حُرمةٌ عِندَ الله عزَّ وجلَّ كما أنّ للكَعبة حُرمةً عظِيمَةً، وهو بالنِّسبة للملائكة الكِرام كالكَعبة المُشرَّفةِ بالنِّسبة للنّاس، وهو مُوازٍ للكعبة الّتي في الأرض أي يُحاذِيها مع ارتفاعِه وبُعد مَسافتِه عنها.

وقال: مُرْ أمّتَكَ فلْتُكْثِر مِن غِراسِ الجنّةِ(١)، فإنّ تُربَتَها طيّبةٌ(٢) وأرضَها واسِعةٌ(٣)، فقال: وما غِراسُ الجنّةِ؟ قال: لا حَولَ ولا قُوّةَ إلّا باللهِ(٤) العَلِيِّ(٥) العَظِيم(٦). وفي روايةٍ: أقرِئ أمّتَك مِنّي السّلامَ وأخبِرْهُم أنّ الجنّةَ طَيّبةُ التُّربةِ عَذْبةُ الماءِ وأنّ غِراسَها(٧) سُبحانَ اللهِ(٨) والحَمدُ للهِ ولا إله إلّا اللهُ واللهُ أكبَرُ(٩)، وعِندَه قَومٌ جلُوسٌ بِيضُ الوجُوهِ أمثالُ

(١) أي شجَرِها.

(٢) أي للغَرسِ فيها.

(٣) أي تسَعُ الكثيرَ مِن الغِراسِ.

(٤) قد فسَّرها النّبيُّ ﷺ في حديثٍ ثبَت عنه بقَولِه: «**لَا حَوْلَ عَن مَعْصِيَةِ اللهِ إلَّا بِعِصْمَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ علَى طاعَةِ اللهِ إلَّا بِعَوْنِ اللهِ**»، معناه لا يَجتنِبُ المرءُ المعصِيةَ مَهما حاوَلَ إلّا ما شاءَ اللهُ له فيُمكّنه مِن تجَنُّبِها، ولا يَقدِرُ أحَدٌ علَى عمَلِ الطاعةِ وإنْ صَمَّم إلّا ما شاءَ اللهُ له فيُمكّنه مِن فِعلِها.

(٥) أي المُتعالِي قَدْرًا وعظَمةً لا مَكانًا، فيَستحِيلُ اتّصافُه عزَّ وجلَّ بارتِفاعِ المَكانِ أو التحيُّزِ في جِهةٍ مِن الجهاتِ، لأنّه عزَّ وجلَّ لا يَحتاجُ إلى شيءٍ مِن خَلقِه، فلا يتحيَّزُ في مَكانٍ ولا في جميعِ الأمكِنةِ.

(٦) أي عَظِيمُ الشَّأنِ والقَدْرِ لا الحَجمِ أو الجُثّةِ لأنّه لا حَجمَ له ولا يُشبِهُ ذَواتِ الأحجامِ، كما أنّه لا يُشبِهُ شيئًا مِن خَلقِهِ بأيِّ معنًى مِن المَعانِي.

(٧) أي غِراسَها قولُ ذلكَ.

(٨) أي أُنزّهُ اللهَ وأُقدّسُه تنزيهًا وتقدِيسًا وتعظِيمًا عن كُلِّ ما لا يجوزُ عليه.

(٩) معناه اللهُ أكبَرُ قَدْرًا وعظَمةً وقُوّةً وعِلمًا مِن كُلِّ كَبيرٍ لا أنّه أكبَرُ حجمًا وجِسمًا وحَيّزًا لأنّه تعالَى ليسَ جِسمًا ذا حَجمٍ كبيرٍ أو صغِيرٍ ولا عرَضًا أي صِفةً ولا يَتمكَّنُ في مَكانٍ ولا يَتقيَّدُ بزَمانٍ. =

القَراطيسِ[١] وقَومٌ في أَلْوانِهِم شيءٌ[٢]، فدَخَلوا نهرًا فاغتَسَلُوا فيه فخرَجُوا وقد خَلَصَ مِن ألوانِهِم شيءٌ[٣]، ثُمّ دخَلُوا نهرًا فاغتَسَلوا فيه فخَرَجوا وقد خَلَص مِن ألوانهم شيءٌ، ثُمّ دخَلُوا نهرًا فاغتَسَلُوا فيه فخرَجُوا وقد خلَصَتْ ألوانُهم[٤] فصارتْ مِثلَ ألوانِ أصحابِهِم، فجاؤُوا فجلَسُوا إلى أصحابِهِم، فقال: يا جِبريلُ مَن هؤلاءِ البِيضُ الوُجوهِ؟ ومَن هؤلاءِ الّذِين في ألوانِهِم شيءٌ؟ وما هذِه الأنهارُ الّتي دخَلُوها واغتَسَلُوا فيها؟ فقال: أمّا هؤلاءِ البِيضُ الوُجوهِ فقَومٌ لَم يَلبِسُوا إيمانَهم بِظُلمٍ[٥]، وأمّا هؤلاءِ الّذِين في ألوانِهِم شيءٌ فقَومٌ خلَطُوا عمَلًا صالحًا وءاخَرَ سيّئًا[٦] فتابُوا فتابَ الله عليهم[٧]، وأمّا هذه الأنهارُ فأوَّلُها رَحمةُ الله، والثّاني نِعمةُ اللهِ، والثالثُ سَقاهُم رَبُّهُم شرابًا طَهورًا[٨].

= وليسَ في تَقدِيم «سُبحانَ الله» علَى كلِمةِ التّوحِيد «لا إلٰه إلا الله» في الحَدِيثِ تفضيلٌ لها علَيها، بل كلِمةُ التَّوحِيد أفضَلُ الذِّكرِ على الإطلاقِ.

(١) تُطلَق القَراطِيسُ ويُرادُ بِها الصُّحفُ ونوعٌ مِن البُرُودِ وغيرُ ذلكَ، والمرادُ هنا أنّهُم جَمِيلُو الصُّورةِ فيهِم بَياضٌ وحُسنٌ.

(٢) أي مِن الكَدَرِ.

(٣) أي زالَ بعضُ الكدَرِ الّذي في ألوانِهم.

(٤) أي صَفَتْ مِن كُلِّ كدَرٍ.

(٥) أي المُؤمِنُون الكامِلُون الّذين لَم يتلوَّثُوا بالذُّنوب.

(٦) أي هم المؤمِنُون الّذين عمِلُوا الصّالحات مِن ناحيةٍ ووقَعُوا في السيّئاتِ مِن ناحيةٍ أُخرَى.

(٧) أي قَبِلَ اللهُ توبَتَهُم وعَفا عنهُم.

(٨) قال بعضُهم: معناه هذه الأنهارُ تُسمَّى رَحمةَ اللهِ ونِعمةَ اللهِ والشَّرابَ الطَّهورَ.

وقيل له[١]: هذا مكانُكَ ومكانُ أمّتِك، وإذا هو بأُمّتِه شَطرَين[٢]؛ شَطرٍ علَيهِم ثِيابٌ كأنَّها القَراطِيسُ[٣]، وشَطرٍ علَيهِم ثِيابٌ رُمْدٌ[٤]، فدَخَل البَيتَ المعمُورَ ودخَلَ معَه الّذِين علَيهِم الثِّيابُ البِيضُ وحُجِبَ الآخَرُونَ[٥] الّذين علَيهِم الثِّيابُ الرُّمْدُ وهُم علَى خيرٍ[٦]، فصَلَّى هو ومَن معَه مِن المؤمِنِين في البَيتِ المعمُورِ، وإذَا هو[٧] يَدخُلُه كلَّ يومٍ سبعُونَ ألفَ مَلَكٍ لا يعُودونَ إليه إلى يوم القيامةِ، وبحِذاءِ الكَعبةِ[٨] لو خَرَّ[٩] لخَرَّ علَيها[١٠]، ءاخِرُ ما علَيهِم[١١]، ثُمّ خرَج ومَن معَه.

(١) أي للنبيّ محمّدٍ ﷺ.

(٢) أي فرِيقَين.

(٣) أي مِن شِدّة نَقائِها.

(٤) أي غُبرٌ فيها كُدُورةٌ.

(٥) أي عن الدُّخولِ.

(٦) أي وإنْ حُجِبُوا عن الدُّخول معه إلّا أنّهُم على خَيرٍ ولكنَّهُم في درَجةٍ أقلَّ مِن درَجةِ الأوّلِينَ الّذين دخَلُوا البيتَ.

(٧) أي البيتُ المعمُورُ.

(٨) وهو في مَكانِه في السَّماءِ مُحاذٍ للكَعبةِ في الأرضِ.

(٩) أي لو قُدِّرَ أنّه يَسقُطُ.

(١٠) أي على الكَعبةِ.

(١١) أي هذا ءاخِرُ شأنِ المُتكلَّمِ فيهِم بالنِّسبة للبيتِ المعمُورِ.

وفي روايةٍ: أنّه عُرِضَتْ علَيهِ[(١)] الآنِيةُ الثّلاثةُ المُتقدِّمةُ[(٢)] فأخَذَ[(٣)] اللَّبَنَ فصَوَّبَ جِبريلُ فِعلَه[(٤)] كما تقدَّم. وقال كما في روايةٍ: هذِه الفِطرةُ الّتي أنتَ علَيها وأُمَّتُك.

ثُمّ رُفِعَ إلى سِدرةِ المنتهَى[(٥)] وإليها يَنتهِي ما يَعرُج مِن الأرضِ فيُقبَضُ مِنها وإليها يَنتهِي ما يَهبِطُ مِن فَوق فيُقبَضُ مِنها[(٦)]، وإذَا هي شَجَرةٌ يَخرُجُ مِن أصلِها أنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ ءاسِنٍ[(٧)]، وأنهارٌ مِن لبَنٍ[(٨)]

---

(١) أي في هذا المَقام.

(٢) أي الّتي تَقدَّم في ذِكرِها أنّ جِبريلَ علَيه السّلامُ أتَى رسولَ الله ﷺ بِها.

(٣) أي سيِّدُنا محمّدٌ ﷺ.

(٤) أي قال له: «أَصَبْتَ» وهي روايةٌ عِندَ مُسلِم في الصّحِيح.

(٥) أي استُبِينَتْ له سِدرةُ المنتَهى بِنُعوتِها كُلَّ الاستِبانة حتّى اطّلَع علَيها كلَّ الاطّلاع فكان ذلك بمَثابةِ الشيءِ المُقرَّبِ إليه فعَبَّر عنه بقولِه: «رُفِعَتْ إلَيَّ»، وقال بعضُهم: معناهُ رُفِعْتُ فصِرتُ قريبًا مِنها، وفي روايةٍ: «رُفِعَتْ لِي»، وضبطَها الأكثَرُون كما قالَ الحافظُ العسقلانيُّ: «رُفِعْتُ إِلَى».

(٦) قال شيخُنا الإمامُ الهرريُّ رضي الله عنه: «معناهُ الأمورُ الّتي يَصعَدُ بها الملائكةُ المُوكَلُون مِن الأرضِ أو مِن السّماءِ الأُولَى أو مِن الثّانية أو الثّالِثة أو نَحوِ ذلك يُنتهَى بها إلى سِدرةِ المُنتهَى، ثُمّ ما يُنزَل بِه مِن فَوقِ ذَلِك أي مِن العَرشِ فَما دُونَه هُناكَ يُنتهَى بِه، فسِدرةُ المُنتهَى مَحطَّةٌ لِمَا يُصعَدُ بِه مِن أسفَل ولِمَا يُنزَل به مِن فَوقِها، وهي أصلُها في السّادِسةِ وأعلاها في السّابِعة» اهـ.

(٧) أي غيرِ مُتغيِّرٍ ولا مُنتِن.

(٨) أي حليبٍ.

لَم يَتغيَّرْ طَعمُه[١]، وأنهارٌ مِن خَمرٍ[٢] لَذَّةٍ للشّارِبين[٣]، وأنهارٌ مِن عسَلٍ مُصفًّى[٤]، يَسِيرُ الراكِبُ في ظِلِّها[٥] سَبعِينَ عامًا لا يَقطَعُها، وإذَا نَبِقُها[٦] مِثلُ قِلالِ هَجَرَ[٧]، وإذَا وَرَقُها كآذانِ الفِيلَةِ، تَكادُ الوَرَقة تُغطِّي هذه الأُمّةَ. وفي روايةٍ: الورَقةُ مِنها تُظِلُّ الخَلْقَ، علَى[٨] كُلِّ ورَقةٍ ملَكٌ، فغَشِيَها[٩] ألوانٌ لا يُدرَى ما هِي، فلَمّا غَشِيَها مِن أمرِ اللهِ ما غَشِيَها[١٠] تغَيَّرَتْ[١١]، وفي روايةٍ: تَحوَّلَتْ ياقُوتًا وزَبَرْجَدًا، فما يَستطِيعُ أحَدٌ أن

---

(١) لأنّه لَم يُحلَبْ مِن حَيوانٍ فيَتغيّر طَعمُه بالخُروجِ مِن الضُّروعِ، ولكنّه خَلَقَهُ اللهُ ابتِداءً في الأنهارِ، فهو بِهَيئَتِه لَم يَتغيَّرْ عمّا خَلَقَه اللهُ عليه.

(٢) أي مِن خَمرِ الجنّة اللَّذِيذ الّذي لا يُسكِرُ ولا يُصدِعُ الرأسَ وليسَ مِن خَمرِ الدُّنيا الّذي هو نَجِسٌ.

(٣) وهُم أهلُ الجنّة.

(٤) أي ليسَ فيه قذًى ولا ما يكونُ في عسَلِ أهلِ الدُّنيا قَبلَ التَّصفيةِ مِن الشّوائِب.

(٥) لها ظِلٌّ معَ أنّه لا وُجود للشّمس ولا للقمَرِ في الجنّةِ بل فيها أنوارٌ عظيمةٌ جِدًّا.

(٦) أي ثمَرَتُها، والنَّبِق ثَمَرُ السِّدرِ واحِدُها نَبْقةٌ بالفَتح وبالكسرِ ويُسكَّن.

(٧) أي كالجِرارِ العظِيمةِ الحَجم، وهجَرُ هذه قَريةٌ مِن قُرَى المدينةِ المنوّرةِ تُصنَع بِها القِلالُ لا هَجَر الّتي بأرضِ البَحرَين.

(٨) أي عِندَ.

(٩) أي أصابَها.

(١٠) أي أفاضَ اللهُ تعالَى بقُدرَتِه على السِّدرةِ بأنوارٍ وأمورٍ أظهرَتْ حُسنَها حتّى إنّه لا يستطِيعُ أحَدٌ أنْ يصِفَها على التّمام. قال بعضُ العلماء: غطَّتْها أنوارُ أجنِحةِ الملائكة، وقال غيرُهم: غَشِيَها فَراشٌ مِن ذهَبٍ وألوانٍ مُتعدِّدةٍ، وفي حديثِ أنسٍ الّذي رواهُ أحمدُ مرفوعًا: «**فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَهَا تَحَوَّلَتْ يَاقُوتًا أَوْ زُمُرُّدًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ**».

(١١) أي مِن حالٍ في الحُسنِ إلى حالٍ أعجَبَ.

يَنْعَتَها[١] مِن حُسنِها، فِيها فَراشٌ مِن ذهَبٍ، وإذَا في أصلِها أربعةُ أنهارٍ: نهَرانِ باطنانِ[٢] ونهَران ظاهِرانِ[٣]، فقال: ما هذِه يا جِبريلُ؟ قال: أمّا الباطِنانِ فنهَرانِ في الجنّةِ[٤]، وأمّا الظاهِرانِ فالنِيلُ والفُراتُ[٥].

وفي روايةٍ أنّه رأى جِبريلَ عِندَ السِّدْرةِ وله سِتُّمائةِ جَناحٍ، كُلُّ جَناحٍ مِنها قد سَدَّ الأفُقَ[٦]، يتَناثَرُ مِن أجنِحَتِه التّهاوِيلُ الدُّرُّ والياقُوتُ[٧] ممّا لا يَعلَمُه إلّا اللهُ تعالى.

ثُمّ أخَذ يَسِير على الكوثَرِ[٨] حتّى دخَل الجنّةَ[٩]، فإذَا فِيها ما لا عَينٌ

(١) أي لا أحدَ مِن الخَلقِ يستطِيعُ الإحاطةَ بأوصافِها مِن فَرْطِ جَمالها.

(٢) أي مَخفِيّان عن أعيُنِ الناظرين فلا يُريان حتّى يَصُبّا في الجنّة، أو معناهُ نهَران يَجرِيان في الجنّة ولا يَخرُجان منها، وقيل: معناهُ لا يُحاطُ بوَصفِهما.

(٣) أي يَخرُجان مِن الجنّة ليَجريا خارِجَها.

(٤) اختُلِفَ فيهما فقيل: الكوثَرُ والرَّحمة، وقيلَ: الكوثَر والسّلسَبِيل.

(٥) قال شيخُنا الإمام الهرريّ: «النِّيلُ ماؤُه يَنزِل مِن الجنّة بِطَريقةٍ لا يَراها النّاسُ ويَدخُل في أرض الحبَشة ثُمّ يَخرُج مِن هناكَ، وكذلك الفُرات ماؤُه يَنزِل مِن الجنّة، لكِنّ ماءَهما تَغيَّر بعدَما نَزَل إلى الأرضِ، ولو بَقِي ماؤُهما على صِفَتِه كان الّذي يَشرَبُ مِنه لا يَمرَض ولا يُحِسُّ بثِقَلٍ» اهـ.

(٦) أي سَدَّ الأُفقَ مِن عِظَمِ خِلْقَتِه عليه السّلامُ.

(٧) أي الأشياءُ المُختلِفةُ الألوان على شَكل الدُرّ والياقُوت تَبهَرُ العُيونَ، وفي روايةٍ: «**يُنْثَرُ مِنْ رِيشِهِ تَهَاوِيلُ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ**».

(٨) أي عِندَ مَجراهُ.

(٩) أي جنّة المأْوَى الّتي يَدخلُها المؤمنُونَ في الآخِرة.

رأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطَرَ على قَلبِ بشَرٍ(١)، فرأَى علَى بابِها(٢) مكتُوبًا: «الصدَقةُ بِعَشرِ أمثالِها، والقَرضُ بثمانِيةَ عشَرَ(٣)»، فقال: يا جِبريلُ ما بالُ القَرضِ أفضل مِن الصدَقةِ(٤)؟ قال: لأنّ السائلَ يَسألُ وعِندَه شيءٌ، والمُقترِضُ لا يَستقرِضُ إلّا مِن حاجةٍ(٥).

فسارَ في الجنّةِ فإذَا هو بأنهارٍ مِن لبَنٍ لَم يَتغيَّر طَعمُه، وأنهارٌ مِن خَمرٍ لذّة للشاربِينَ، وأنهارٌ مِن عسَلٍ مُصفًّى، وإذَا فيها جَنابِذُ اللُّؤلؤِ(٦)، وإذَا رُمّانُها كالدِّلاءِ(٧).

وفي روايةٍ: فإذَا فِيها رُمّانٌ كأنّه جُلودُ الإبِلِ المُقتَّبةِ(٨)، وإذَا بطَيرِها كالبَخاتِيّ(٩). فقال أبو بكر(١٠): يا رسولَ اللهِ، إنّ تلكَ الطَّيرَ

(١) أي وهذا الّذي فيها لَم يُطلع عليه أحَدٌ مِن الخَلقِ، وهو خاصٌّ بعبادِ الله المتّقين.

(٢) أي بابٍ مِن أبوابِ الجنّة.

(٣) أي مِثْلًا.

(٤) أي النّافِلةِ.

(٥) أي حاجةٍ يسُدُّ القرضُ مَسدَّها غالِبًا.

(٦) أي قِبابٌ مِن لُؤلُؤٍ.

(٧) جَمعُ دَلوٍ، والمرادُ بذلكَ الدِّلاءُ الكِبارُ.

(٨) أي كالجُلودِ الّتي تكونُ على الجِمالِ تحتَ الأحمالِ إنْ بُغِيَ رُكوبُها.

(٩) جَمعُ بُختٍ وهو البعِيرُ الخُراسانيُّ ذُو السَّنامَين.

(١٠) التّقدير: وسَمِعَ أبو بكرٍ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُهم بما رأى فقال كَيتَ وكَيتَ.

لَناعِمةٌ[١]، قال: أَكَلَتُها أنعَمُ مِنها[٢]، وإنّي لأَرجُو أنْ تأكُلَ مِنها.

ورأى نهَرَ الكَوثرِ على حافَته قِبابُ الدُرِّ المُجوَّفِ، وإذا طِينُه[٣] مِسكٌ أذفَرُ[٤].

ثُمّ عُرِضَتْ علَيه النارُ[٥]، فإذَا فِيها غضَبُ اللهِ وزَجْرُه ونِقمَتُه[٦]، لو طُرِحَ فيه الحِجارةُ والحدِيدُ لأَكلَتْها، فإذَا قومٌ يأكلُونَ الجِيَفَ[٧] فقال: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الّذِين يأكلُون لُحومَ النّاسِ[٨].

---

(١) أي مُنعمَّةٌ في الجنّةِ.

(٢) أي أكثرَ نعيمًا مِنها بأضعافٍ كثيرةٍ جِدًّا.

(٣) أي الّذي في قاعِه.

(٤) أي شدِيدُ الرّائحةِ.

(٥) أي أُطلِعَ رسولُ الله ﷺ على ما فيها مِن حيثُ هو في العُلوِ والنّارُ تحتَ الأرضِ السّابعةِ مِن غيرِ أنْ يدخُلَها أو يَقربَها.

(٦) أي ءاثارُ غضَبِ اللهِ وهي عذابُه.

(٧) أي أُري مِثالًا لِمَن يكونُ هذا مِن عذابِهم.

(٨) أي يَغتابُون المُسلِمينَ بغَير حَقّ. وقَد تمسَّك بظاهِر هذا الحديثِ مَن قال مِن العُلَماء في الغِيبة المحرَّمة إنّها مِن الكبائِر مُطلَقًا، وفَصَّل بعضُهم فقال: إنّها إنْ كانتْ غِيبةً للأتقِياءِ فهي كبيرةٌ، أمّا إنْ كانَتْ في غَيرِهم فهي ذنبٌ مِن الصّغائِر، وهذا هو الصّوابُ. فما نقَله القُرطبيّ مِن أنّها كبيرةٌ مُطلَقًا بالإجماع غَيرُ سَدِيدٍ، لكِنّ المُسلِمَ الفاسِقَ إذا اغتِيبَ بغَير حَقٍّ إلى حَدّ الإفحاشِ كان اغتِيابُه كبيرةً، وذلك كأنْ يُبالَغَ في ذِكر مَساوِئه على غيرِ وَجهِ التّحذِير بل لمُجرَّد التّفكُّه، وعليه يُحمَلُ قولُه ﷺ: «**إنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**» فجاءَ وصفُها بأنّها مِن أَربى الرِّبا أي أنّها في شِدّة إثْمِها شبِيهةٌ بأشَدِّ الرِّبا.

ورأى مالكًا خازِنَ النارِ فإذَا هو رجُلٌ(١) عابِسٌ يُعرَفُ الغضَبُ في وَجهِه(٢)، فبدأَه النّبيُّ ﷺ بالسّلامِ(٣)، ثُمّ أُغلِقَتِ النّارُ دُونَه.

ثُمّ رُفِعَ(٤) إلى سِدرةِ المُنتهَى فغَشِيَتْهُ(٥) سَحابةٌ فيها مِن كُلّ لَونٍ، فتأَخّرَ جِبريلُ(٦)، ثُمّ عُرِجَ بِه(٧) حتّى ظَهَرَ(٨) لِمُستوَى سَمِعَ فيه صَرِيفَ الأَقلامِ(٩).

---

(١) بمعنَى شخصٍ أو على صُورةِ رَجُلٍ عابِسٍ وهو في الحقيقةِ المَلَكُ الكريمُ المُوكَلُ بأُمورِ النّارِ، فإنّ الملائكةَ يصحُّ أن يتشكّلوا ظاهِرًا بصُورةِ الذُّكورِ مِن دُون ءالةِ الذُّكوريّة ولا يجوزُ عليهم أن يَتشكَّلُوا بصُورةِ الإناثِ.

(٢) أي على أهلِ النّارِ.

(٣) أي ورَدَّ عليه مالِكٌ.

(٤) أي رسولُ الله ﷺ.

(٥) أي غَطَّتْه.

(٦) أي لَم يَتقدَّم. ويجِبُ التّحذِير مِن قول بعضِهم إنّه لمّا وصَل جبريل والرسول إلى ما بَعد سدرة المنتهى قال جبريل: «هنا يفارق الخليلُ خليلَه لو تقدَمتُ احترقتُ»، فإنْ قاله القائلُ على وجه الاستخفاف بسيّدنا جبريل أو انتقاصًا مِن قدرِه العظيم أو أنه يَحترِق ويموت حقيقةً فإنّه يَكفُر، وأصل الخبرِ في ذلكَ لَم يَرِد في حديث صحيح، أمّا مَن أورده ولَم يَفهَمْ مِنه هذه المعانيَ التي حذَّرنا منها فلا يكفر.

(٧) أي أكثرَ مِن المُستوَى الّذي كان فيه.

(٨) أي وصَلَ.

(٩) صَرِيفُ الأَقلامِ هو صَوتُ جرَيانِ الأقلام في الكِتابة، وهو هنا صَوتُ استِنْساخِ بَعضِ الملائكةِ بالأقلامِ مِن اللّوحِ المَحفُوظِ ما أَذِن اللهُ لَهُم في نَسْخِه في صُحُفِهم مِن الأَقضِيَةِ، فإنّ في اللَّوحِ المَحفُوظِ ذِكرَ كلِّ ما يَكُون في هذه الدُّنيا إلى نِهايَتِها، قال الله تعالَى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾. أمّا الحياةُ الأُخرَوِيّةُ فمُمتَدّةٌ إلى غَيرِ=

ورأى رجُلًا(١) مُغيبًا في نُورِ العَرشِ فقال: مَن هذا أَمَلَكٌ؟ قيل: لا، قال: أنَبِيٌّ؟ قيل: لا، قال: مَن هو؟ قيل: هذا رجُلٌ كان في الدُّنيا لِسانُه رَطبٌ مِن ذِكرِ اللهِ(٢) وقَلبُه مُعلَّقٌ بالمَساجِد ولَم يَسْتَسِبَّ لِوَالِدَيه قَطُّ(٣).

فرأى رَبَّه سُبحانَه وتعالَى(٤)، فَخَرَّ النَّبِيُّ ﷺ ساجِدًا، وكَلَّمَه ربُّه

= نِهايةٍ فلا تَدخُل حوادِثُها في اللَّوحِ المحفُوظ، لأنّ المكتُوبَ في اللَّوحِ شيءٌ مُتَناهٍ، فلا يقَع في اللَّوحِ المُتناهِي المِساحَةِ ذِكرُ تَفاصِيل ما يقَعُ في الحياةِ الأُخرَوِيّةِ الّتي لا نِهايةَ لها.

(١) أي مِثالًا لرجُلٍ.

(٢) أي دائمُ حرَكةِ اللِّسانِ في ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ.

(٣) أي لَم يفعَل ما يؤدِّي إلى لَحاقِ السَبِّ بوالدَيه بغَيرِ حَقٍّ كأنْ سَبَّ والِدَي غيرِه أو غيرَهما بغَيرِ حَقٍّ فأدّى ذلكَ إلى أنْ رُدَّ علَيه بسَبِّ والِدَيه بغَيرِ حَقٍّ.

(٤) أي وحِينَ كان رسولُ الله ﷺ في ذلكَ المكانِ كُشِفَ عنه الحِجابُ المعنويُّ فرأى اللهَ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ ولا جِهةٍ ولا مُقابلةٍ، رءاهُ عزَّ وجلَّ لا كما يُرَى المخلوقُ، بل رءاهُ ليسَ كمِثلِه شيءٌ، فمحمّدٌ ﷺ كان في ذلك المَكانِ وأمّا اللهُ عزَّ وجلَّ فلا يَحُلُّ في مكانٍ ولا في جميعِ الأمكِنة.

فرأى رسولُ الله ﷺ ربَّه بقَلْبِه - ولا يُقالُ رءَاهُ فِي قَلْبِه - ومعناهُ جعَلَ اللهُ للنّبِيّ ﷺ قُوةَ الرُّؤيةِ بقَلبِه فرأى الرّسولُ ﷺ رَبَّه بِقَلْبِه ولَم يَرَهُ بِعَيْنَي رأسِه لأنّ اللهَ تعالَى لا يُرَى في الدُّنيا بالعَينِ، ولو كان يَراهُ أحَدٌ بالعَينِ في الدُّنيا لكانَ رءاه سَيِّدُنا محمّد ﷺ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَروا رَبَّكُم حَتَّى تَمُوتُوا**» رواه مُسلِم، كما يُفهَم ذلك أيضًا مِن قولِه تعالى لسيّدنا موسَى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. =

تعالَى[١] عِندَ ذلكَ[٢] فقال: يا محمّدُ، قال: لبَّيكَ يا رَبِّ[٣]، قال: سَلْ، فقال: إنّكَ اتَّخذْتَ إبراهيمَ خلِيلًا[٤] وأعطَيتَه مُلكًا عَظِيمًا[٥]،

= وقد رُوِي أنّه قِيل له ﷺ: هل رَأيتَ رَبَّك لَيلةَ المِعراجِ فقال: «سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي وَمَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي» وهذا ضَعِيفٌ لَم يَثْبُت.

وقال الإمامُ مالِك رضي الله عنه: «لا يُرَى الباقي بالعَينِ الفانِية، وإنّما يُرَى بالعَين الباقِية في الآخِرة» اهـ. أي بِعُيون أهلِ الجنّة الّتي لا يَلحَقُها الفَناءُ لأنّهم لا يَمُوتون أبَدَ الآبدِين. وقولُه: «بالعَينِ الفانِية» أي بعَين الحياةِ الفانِية.

وأما قولُ بعضِ أهلِ السُنّة إنّه ﷺ رأى رَبَّه ليلةَ المِعراجِ بِعَينَي رأسِه فهذا قولٌ ضَعِيفٌ، لكن مَن قالَه لا يُبدَّع ولا يُفسَّق لأنه قال بِه جَمعٌ مِن السَّلَف الصالِحين رضي الله عنهُم وأرضاهُم، فمَن قالَ بذلك يقال له: هذا القولُ مَرجوحٌ والقولُ الراجِحُ أنّه رءاهُ بِفُؤادِه أي بقَلْبِه لا بِعَينَيهِ كما ثبت ذلك عن أبي ذَرٍّ الغِفاريّ رضي الله عنه قال: «رَءَاهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ»، ونحن على هذا القَول.

(١) أي كشَفَ عنه الحِجابَ المَعنويَّ فأسمَعَه اللهُ كلامَه الذاتِيَّ الّذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لُغةً ولا يُبتدأُ ولا يُختَتَمُ ولا يَتقطَّعُ ولا يَتعاقَبُ ولا يُشبِهُ كلامَ المخلوقِينَ ففَهِمَ مِنه ﷺ ذلكَ.

(٢) وعِنْدِيّةُ الزَمانِ والمَكانِ خاصّةٌ بالمخلُوقِ ولا يرجِعُ شيءٌ مِن ذلكَ إلى اللهِ وصِفاتِه، فهو موجودٌ بلا مكانٍ ولا يَجري عليه زَمانٌ.

(٣) أي أُجِيبك يا رَبِّ إجابةً بعدَ إجابةٍ.

(٤) أي الّذي نالَ درَجةَ الخُلّةِ معناه بَلَغَ الغايةَ بَعدَ سَيّدنا محمّدٍ في الانقِطاعِ إلى اللهِ بالعِبادة، فمَقامُ الخُلّةِ مَقامٌ عالٍ جِدًّا لَم يَصِل إليه إلّا سيّدُنا محمّد وسيّدنا إبراهيمُ عليهما السلامُ.

(٥) لعلّه يُريدُ بِهِ قهرَه للمُلوكِ الجبّارِين الكفَرةِ أو المُلكَ الّذي أُوتِيَه مَن جاؤُوا مِن ذُرّيّتِه كيوسُفَ ﷺ.

وكَلَّمتَ موسَى تكلِيمًا[١]، وأعَطيتَ سُلَيمانَ مُلكًا عَظِيمًا، وسَخَّرتَ له

(١) أي أسمَعَ اللهُ موسَى ﷺ كلامَه الأزليَّ بغَير حرفٍ ولا صوتٍ كما أنّ المؤمنِينَ يرَون ذاتَ اللهِ وهُـم في الآخِرة واللهُ تعالَى بلا مَكانٍ ولا كيفٍ ولا جهةٍ، وسَماعُ كلامِ الله تعالَى الذاتيّ جائزٌ لأنّ العَقلَ لا يُحِيلُ سَماعَ ما ليسَ بِحَرفٍ ولا صَوتٍ، فكان مِن الجائز أنْ يَسمَع موسَى عليه السّلامُ كَلامَ الله تعالى القَدِيمَ ويَفهَمَ مِنه ما فَهِمَ. وبعبارةٍ أُخرَى يقال: أزالَ اللهُ عن سيّدنا موسَى ﷺ المانِعَ ومَكَّنَه مِن سَماعِ كلامِ اللهِ القَدِيم، ثُمّ حَجَب عن مُوسَى سماعَ كلامِه تعالَى فعادَ موسَى إلى حالِه الأوّلِ، وهذَا التغَيُّر هو في حالِ موسَى ولا يَطرَأُ على اللهِ تغَيُّر في ذاتِه أو صِفاتِه.

وليسَ معنَى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ أنّ اللهَ ابتدأَ الكلامَ بَعد أنْ كان ساكِتًا ولا أنّه كَلَّمَ موسَى ثُمّ انقطَعَ كلامُه تعالَى وسكَت، تعالى الله عن ذلك علُوًّا كبِيرًا. فكلامُه تعالَى ليسَ بِحَرفٍ ولا صَوتٍ ولا لُغةٍ، وليس مُبتدَأً ولا مختتَمًا ولا مُتجزّئًا ولا مُتبعِّضًا ولا يتخلَّلُهُ انقِطاعٌ، بل هو صِفَةٌ له أزليّةٌ أبديّةٌ وهو كلامٌ واحِدٌ بلا فَم ولا لِسانٍ ولا شِفاهٍ ولا لهاةٍ ولا لُغاتٍ، وكما أنَّ ذاتَ الله لا يُشبِهُ الذَّواتِ فكلامُه لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقينَ ولا بِوَجهٍ مِن الوُجوه، وقَد نَقَل **الإجماعَ على كُفرِ مَن شبَّه كلامَ اللهِ بكلامِ الخَلقِ** الإمامُ أبو بكرٍ الصِّقِلِيُّ في كتابه «مسألةِ الشّارِع في القُرءان».

وهُنا ينبغِي التّحذيرُ مِن روايةٍ في بعض كُتب التّفسِير فيها أنّ الله يَسأل يوم القيامة «لِمَن المُلكُ اليومَ» ثُمّ هو يَجِيبُ نَفْسَه «للهِ الواحِد القهّار»، فهذه الرّوايةُ غيرُ صَحِيحةٍ وقَد نَصّ على رَدّها الفَخر الرّازي في تفسيره فقال: «قال أهلُ الأصُولِ: هذا القَولُ ضَعِيفٌ» اهـ. بل مَن يَفهَم مِن ذلكَ أنّ الله تعالَى يتكلَّمُ ثُمّ يَسكُتُ ثُمّ يتكلَّمُ فقد وصفَ الله بصِفاتِ البشَر مِن السُّكوتِ والآفةِ وهذا كُفرٌ مُعارِضٌ لدِين الإسلام، مُخالِفٌ للعَقل ومُصادِمٌ للنّقل، والصّوابُ أنّ مَلَكًا يُنادِي يومَ القِيامةِ بأمرِ الله «لِمَنِ المُلكُ اليوم» ثُمّ الملَكُ هو يُجيبُ «للهِ الواحِدِ القَهّار»، ويَشهَدُ لذلك ما رَواهُ أبو نُعيم في «الحِلية» بسنَدِه إلى ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهُما قال: «فيُنادِي المُنادِي: لِمَن المُلْكُ اليومَ؟ للهِ الواحِدِ القَهّار». وقال المفسِّر النّحوي السَّمِينُ الحلبيّ في «عُمدة الحُفّاظ»: «وقد رُوِي أنّه يُنادِي مُنادٍ:=

الإنسَ والجِنَّ والشَّياطِينَ، وسَخَّرتَ له الرِّياحَ[١]، وأعطَيتَه مُلكًا لا يَنبغِي لأحَدٍ مِن بَعدِه، وعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوراةَ والإنجيلَ[٢]، وجَعَلْتَه يُبرِئُ الأكْمَهَ[٣] والأبرَصَ ويُحيِي الموتَى بإذنِك[٤]، وأَعَذْتَه[٥] وأُمَّهُ مِن الشَّيطانِ الرَّجِيم[٦]، فلَم يكُن للشَّيطانِ علَيهِما سَبيلٌ[٧]، فقال اللهُ تعالى: قدِ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا[٨] - قال الراوي: وهو مَكتوبٌ في التَّوراةِ[٩]

= لِمَن المُلكُ اليومَ؟ فيُجابُ بأنّه للهِ الواحِدِ القَهّار كما صَرَّحَتْ به الآيةُ الكَريمةُ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ اهـ. ونصَرَ هذا القولَ مِن ناحيةِ البلاغةِ والنَّحوِ أبو حَيّان الأندلسيّ في «البحر المحيط».

(١) فكانت تَحمِلُه وجُندَه والحاشيةَ إلى الأماكِن البعِيدة مِن غيرِ أنْ يَختلَّ شىءٌ مِن نظامِ أمُورِهم، فيَذهَبُون مِن بلاد الشام إلى كابُلَ ورُبّما أبعد.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

(٣) الكَمَه في الأصل هو العمَى، واختلفوا في كيفيّته، فقال بعضُهم: الأكْمَه هو الذي يُولَد مَطمُوسَ العينَين، وقال غيرهم: الذي يُولَد أعمَى، وقالت طائفَةٌ: هو الأعمَى مُطلقًا، وذهب ءاخَرُون إلى أنّه هو الذي يُبصِرُ بالنّهار ولا يُبصِرُ باللَّيل.

(٤) أي بمشيئةِ الله وقُدرَتِه، فلا خالِقَ لشىءٍ إلّا اللهُ عزَّ وجلَّ.

(٥) أي وأجَرْتَه.

(٦) ومعنَى الشّيطانِ الرَّجِيم الكافِرُ المرجُوم مِن الجِنّ أي المَرمِيُّ باللَّعن المطرُودُ مِن الخيرِ في الدِّين.

(٧) أي سُلطانٌ.

(٨) أي صَفِيًّا كريمًا، فرسولُ اللهِ ﷺ أكرَمُ الخَلقِ على اللهِ.

(٩) أي الأصليّة غيرِ المُحرَّفَةِ.

حَبِيبُ اللهِ - وأرسَلتُكَ للنّاسِ كافّةً بَشِيرًا ونَذِيرًا، وشَرَحتُ لكَ صَدرَكَ، ووَضَعتُ عنكَ وِزْرَكَ، ورَفَعتُ لكَ ذِكرَكَ لا أُذكَرُ إلّا وتُذكَرُ مَعِي، وجَعَلتُ أُمّتَك خَيرَ أُمّةٍ أُخرِجَتْ للنّاسِ، وجَعَلتُ أُمّتَكَ أمّةً وسَطًا، وجَعَلتُ أمّتَكَ همُ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ[(١)]، وجَعَلتُ أُمّتَكَ لا تَجُوزُ لهُم خُطْبةٌ حتَّى يَشهَدُوا أنّكَ عَبدِي ورَسُولِي[(٢)]، وجَعَلتُ مِن أُمّتِك أقوامًا قُلوبُهم أَناجِيلُهُم[(٣)]، وجَعَلتُكَ أوّلَ النّبِيّينَ خُلُقًا[(٤)] وءاخِرَهُم بَعْثًا[(٥)]، وأَوَّلَ مَن يُقضَى له[(٦)]، وأعطَيتُكَ سَبْعًا مِن المَثانِي[(٧)] لَم أُعطِهَا نَبِيًّا

(١) مِن قولِه: «وأرسَلتُكَ» إلى قولِهِ «والآخِرُونَ» سبَقَ شرحُه كلِّه.

(٢) اختُلِف في معناهُ، فمِنهُم مَن حمله على أنّه يُشترَطُ حَمدُ الله والصّلاةُ على نبيّه ﷺ في خُطبةِ الجُمعة، وقيل غيرُ ذلكَ.

(٣) أي واعِظُهم وءامِرُهم وناهِيهم أو المعنى أنّ قُرءانَهُم مَحفوظٌ في قلُوبِهم، والإنجيلُ يأتِي في اللُّغة بمعنَى الكُتب.

(٤) الصّوابُ أن يُقال بضمّ الخاء واللّام بمعنى أنّه أعلَى النّاس خُلُقًا، لأنّ محمّدًا ليسَ أوّل خلقِ الله، ولا يَثبُتُ أنّ روحَه أوّل رُوحٍ خُلِقَت في الأرواحِ، فإنّ أوّل مخلوقٍ على الإطلاقِ الماءُ، ثُمّ خَلَقَ اللهُ الخَلقَ مِن هذا الماءِ الأوّلِ. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ﴾، قال الحافظ العَسقلاني في «فتح الباري» والبدرُ العَينِيُّ في «العُمْدة» ما نصه: «وروى السُدّي في تفسيره بأسانيدَ متعدّدة أنّ اللهَ لَم يَخلُق شيئًا مِمّا خَلَق قبلَ الماءِ.

(٥) أي ءاخِرَ الأنبياءِ تنبيئًا، فهو خاتَم النبيّين وأفضَلُهم صلّى الله عليهِم وسلَّم.

(٦) فهو أوّل مَن يُسألُ يومَ القِيامةِ إظهارًا لشَرَفِه: هل بَلَّغْتَ؟ وهو أوّل مَن يدخُلُ الجنّة ﷺ.

(٧) وهي الفاتحةُ أو غيرُها مِن القرءان، فعلَى الأوّلِ سُمّيت بذلكَ لأنّها تُثنّى في كلّ ركعةٍ، وقيل: لأنها تُثَنَّى بُسورةٍ أخرَى، وقيل: لأنّها نزلَتْ مَرَّتَين، وقيل: لأنّها على قِسمَين ثَناءٍ ودُعاءٍ، وقيل غيرُ ذلكَ.

قَبْلَك، وأَعطَيتُكَ خواتِيمَ البقَرةِ مِن كنزٍ[1] تحتَ العَرشِ لَم أُعطِها نَبيًّا قَبْلَك، وأعطَيتُكَ الكوثَرَ[2]، وأعطَيتُكَ ثَمانيةَ أسهُمٍ[3]: الإسلامَ والهِجرةَ والجِهادَ والصَّدَقةَ والصّلاةَ وصَومَ رَمضانَ والأمرَ بالمعرُوفِ والنَّهيَ عنِ المُنكَرِ، وإنّي يومَ خَلَقتُ السَّماواتِ والأرضَ فرَضتُ[4] علَيكَ وعلَى أُمَّتِكَ خَمسِينَ صَلاةً، فقُم بِها[5] أنتَ وأُمَّتك. وفي روايةٍ: وأُعطِيَ رسولُ اللهِ ﷺ الصَّلَواتِ الخَمسَ، وخَواتِيمَ سُورةِ البقَرةِ، وغَفَر لِمَن لَم يُشرِكْ باللهِ مِن أُمّتِه شيئًا المُقْحِماتِ[6]، ثُمّ انْجلَتْ[7] عنه السَّحابةُ، وأخَذَ بِيَدِه جِبريلُ فانصرَفَ سَرِيعًا.

فأتَى علَى إبراهيمَ فلَم يَقُل شيئًا، ثُمّ أتَى على موسَى - قال: ونِعمَ الصاحِبُ كان لكُم[8] - فقال: ما صنَعْتَ يا محمّدُ؟ ما فرَضَ رَبُّكَ

(١) بمعنَى محفوظَةٍ له.

(٢) هو نهَرٌ خاصٌّ بالنّبيّ محمّد ﷺ في الجنّة يخرُج مِنه روافِدُ إلى بُيوتِ أهلِ الجنّة ويصُبُّ مُنتهاهُ خارِجَ الجنّة في الحَوضِ.

(٣) أي خصالٍ مجموعةٍ لكَ وإنْ كانَ غيرُك قد أُوتِي مِنها.

(٤) ليسَ معناهُ أنّ تقدِيرَ الله تعلَّق بزَمانٍ هو بعدَ خَلقِ تِلكَ المخلوقاتِ، بل معناهُ قَد فرَضتُ عليكَ ذلكَ في جُملةِ ما قضَيتُ في الأزلِ وظهَرَ المأمُورُ بِه لكَ ولَهُم في الوَقتِ المعلومِ.

(٥) أي أدِّها.

(٦) أي المُهلِكاتِ المُوبِقاتِ مِن الذُّنوبِ، وهو معنَى ما جاء في الآية: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

(٧) أي انكشَفَتْ.

(٨) يُرِيدُ أنّ أُمّة محمّدٍ ﷺ نفعَها مُوسَى ﷺ بعدَ مَوتِه.

علَيكَ وعلى أُمّتِك؟ قال: فرَضَ علَيَّ وعلَى أُمّتي خَمسِينَ صَلاةً كُلَّ يومٍ ولَيلةٍ، قال: ارجِعْ إلى رَبّك(١) فاسْأَلْه التَّخفِيفَ عَنكَ وعن أُمّتِك، فإنَّ أمَّتَك لا تُطِيقُ ذلكَ، فإنّي قَد خَبَرْتُ النّاسَ(٢) قبلَك وبَلَوتُ(٣) بَنِي إسرائيلَ وعالَجْتُهُم(٤) أشَدَّ المُعالَجةِ على أدنَى مِن هذا(٥) فضَعُفُوا عَنه وتَركُوه، فأُمّتُكَ أضعَفُ الأُمَم أجسادًا وأبدانًا وقُلوبًا وأبصارًا وأسماعًا(٦)، فالْتَفَتَ النّبيُّ ﷺ إلى جِبريلَ يَستشِيرُه، فأشار إليه جِبريلُ أنْ نَعَم إنْ شِئتَ، فرَجَع سرِيعًا حتّى انتهَى إلى الشجَرةِ، فغَشِيَتْهُ السَّحابةُ(٧) وخَرَّ ساجِدًا وقال: رَبِّ خَفِّفْ عن أُمّتِي فإنّها أضعَفُ الأُمَم، قال: وضَعتُ(٨) عنهُم خمسًا، ثُمّ انجَلَتِ السَّحابةُ ورَجَع إلى موسَى، فقال: وضَعَ عَنّي خمسًا، فقال: ارجِعْ إلى رَبِّك(٩) واسْأَلْهُ

---

(١) أي ارجِعْ إلى المكانِ الّذي تُناجِي فيه رَبَّك حيثُ كان يُوحَى إليكَ بأمرِ الصلاة، واللهُ تعالَى لا يَتحيَّز في مَكانٍ ولا في كُلّ الأماكِن، بل هو تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ.

(٢) أي امتَحَنْتُهم.

(٣) أي جَرَّبتُ.

(٤) بمعنَى جَرَّبتُ.

(٥) أي مِن الرَكعات.

(٦) فإنّ أعمارَ أُمّةِ محمّدٍ ﷺ ما بينَ السّتّين والسّبعِين غالبًا.

(٧) ليسَ معناهُ أنّه عزَّ وجلَّ يتشكّل بشكلِها، حاشا لله، فاللهُ ليسَ جِسمًا لطيفًا ولا كثيفًا ولا يُشبِهُ المخلوقاتِ بأيِّ معنًى مِن المعانِي.

(٨) أي حَطَطتُ.

(٩) أي ارجِعْ إلى المكانِ الّذي تُناجِي فيه رَبَّك حيثُ كان يُوحَى إليكَ بأمرِ الصلاة، واللهُ تعالَى لا يتحيَّز في مَكانٍ ولا في كُلّ الأماكِن، بل هو تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ.

التَّخفِيفَ فإنّ أمّتَك لا تُطِيقُ ذلكَ، فلَم يزَلْ يَرجِعُ بَين مُوسى وبَين رَبّه[١] يَحُطُّ عنهُ خَمسًا خَمسًا[٢] حتّى قال: يا محمّدُ، قال: لَبَّيكَ[٣] وسَعْدَيكَ[٤]، قال: هي خَمسُ صلَواتٍ كُلَّ يَومٍ ولَيلةٍ، لِكُلّ صَلاةٍ عَشرٌ[٥]، فتِلكَ خَمسُونَ صَلاةً[٦]، لا يُبدَّلُ القَولُ لدَيَّ ولا يُنسَخ كِتابِي[٧]، ومَن هَمَّ بحسَنةٍ فلَم يَعمَلْها كُتِبَتْ له حسَنةٌ[٨]، فإنْ عَمِلَها

---

(١) أي مِن المكانِ الّذي كان فيه ﷺ حيثُ أُوحِيَ إليه أنّه فُرِضَ عليه وأُمَّتِه خمسُون صلاةً إلى السّماءِ السّادسةِ، وليسَ المُرادُ أنّ النّبيَّ ﷺ وصلَ إلى مَكانٍ لَقِيَ اللهَ تعالَى بمُقابلةٍ ومَسافةٍ، حاشا، فإنّ اللهَ تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ ولا جهةٍ، ويستحيلُ عليه عزّ وجلّ أن يكونَ بَينه وبينَ خَلقِه مسافةٌ أو مُقابلةٌ أو اتّصالٌ أو انفِصالٌ كما يستحيلُ عليه أنْ يَحُلّ في شىءٍ مِن العالَم وأنْ يَحُلّ فيه شىءٌ، كان اللهُ قبلَ المَكان والزّمانِ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ، ولَم يَزَلِ اللهُ بعدَ خَلقِ المخلوقاتِ بلا كيفٍ ولا مَكانٍ.

(٢) أي خَمسًا بعدَ خَمسٍ مِن الخمسِينَ.

(٣) أي أُجِيبُك وأُطِيعكَ طاعةً بعدَ طاعةٍ.

(٤) أي أُرضِيكَ دائمًا.

(٥) أي تُضاعَفُ حسَناتُها عشرَ مرّاتٍ.

(٦) أي في حِسابِ المُضاعَفةِ.

(٧) أي ما قضَيتُ علَيكُم مِن الفرائِض لا تَبدِيلَ له. وقال بعضُهم: معناهُ لا تبدِيل لِما قضَيتُ مِن أنّ في الخَمسِ ثوابَ الخمسِينَ.

(٨) هَمَّ هُنا بمعنَى عَزَمَ على فِعلِ أمرٍ فيه ثوابٌ، لكِنْ صرَفَه صارِفٌ عن الفِعل، فإنّه يُكتَبُ له ثوابٌ على عَزمِه على فِعل الخَير، فإنْ عَمِلَ الخيرَ بنيّةٍ حسَنةٍ كُتِبَ له ثوابٌ ثانٍ جزاءً على العمَلِ.

كُتِبَتْ له عَشرًا، ومَن هَمَّ بسَيّئةٍ فلَم يَعمَلْها لَم تُكتَبُ علَيه[١]، فإنْ عَمِلَها كُتِبَت له سيّئةً واحِدةً.

وانجلَتْ[٢] فنَزَل حتّى انتهَى إلى موسَى فأخبَره فقال: ارجِعْ إلى رَبّك فاسأَلْه التَّخفِيفَ فإنّ أمّتَك لا تُطِيقُ ذلك، فقال: لقد راجَعتُ رَبّي[٣] حتّى استحْيَيْتُ مِنهُ، ولكِن أرضَى وأُسلِّمُ[٤]، فنادَى مُنادٍ[٥] أنْ قَد أمضَيتُ فَرِيضَتِي[٦] وخَفَّفتُ عن عِبادِي، فقال له موسَى: اهبِطْ بِسمِ اللهِ.

---

(١) أي تَرَدَّد في فِعلِها ولَم يَعزِمْ على الفِعل ولا صَمَّم ولا تكلَّم أنّه يَفعَلُ، بل استوَى عِندَه الأمرُ وتوقَّف عِندَ «أفعَلُ، لا أفعَلُ» ولَم يَعزِم فهذا لا يُكتَبُ عليه إثمُ العَزم على المعصيةِ. ومِثالُ الجَزم أنْ يُصمّمَ أنّه إنْ تَيسَّر له سيَفعَلُ تلكَ المعصيةَ، وهذا بالنِّسبةِ للمعاصِي الّتي هي دُونَ الكُفر، أمّا التردُّد في الكُفرِ كأنْ ترَدَّد في نَفسِه «أكفُر أو لا أكفُر» فهذا يَكفُر في الحال ولَو لَم يَعزِم على الكُفر ويَجزِمْ، وليسَ الكلامُ على مُجرَّدِ الخاطِر الّذي يَرِدُ على القلبِ مِن غيرِ إرادةٍ ويَكرَهُه الشخصُ ولا يَعمَلُ به، بل الكلامُ على مَن تَرَدَّد هل يَدُوم على الإيمانِ أو يَخرُج مِن الإسلام بالكُفر فهذا الّذي يَكفُر بذلك التردُّد ولَو لَم يأتِ بعد ذلكَ بكُفرٍ ءاخَرَ فإنْ أتَى بكُفرٍ ءاخَرَ كُتِبَ عليه كُفرٌ أيضًا، والعياذُ باللهِ، ومِن بابِ أولَى أنّ الّذي عَزَم على الكُفر يَكفُر في الحالِ سواءٌ ارتكَبَ الكُفرَ الّذي عَزَم عليه أو لَم يَرتَكِبْهُ، لأنّه بتَردُّدِه أو عَزمِه على الكُفرِ لا يَكُون مُعظِّمًا للهِ بل مُستخِفًّا به.

(٢) أي انكشَفتِ السّحابةُ عنه.

(٣) أي سألتُه التّخفِيفَ.

(٤) وهو ﷺ مُسلِّمٌ لِربّه في كُلّ حالٍ، والمعنَى هُنا أنّه لا يسألُ عن هذا بعدَ ذلكَ.

(٥) أي مَلَكٌ مُبلّغٌ عن اللهِ تعالَى.

(٦) قالَ الملَكُ: إنّ اللهَ تعالَى يقولُ: «أنفَذْتُ فَرِيضَتِي على عِبادِي بخَمسِ صلَواتٍ فأوجَبتُها علَيهِم وخَفَّفتُ عنهُم مِن خَمسِينَ صلاةً إلى خَمسٍ وأَجزِي الحسَنةَ عَشرًا فيَحصُل لَهم ثَوابُ خَمسِينَ صلاةً». =

ولَم يَمُرَّ علَى ملَأ(١) مِن الملائكةِ إلّا قالوا: عليكَ بالحِجامةِ(٢)، وفي روايةٍ: مُرْ أمّتَك بالحِجامةِ، ثُمّ انْحَدَرَ(٣) فقال لجبريلَ: يا جِبريلُ ما لِي لَم ءاتِ أهلَ سَماءٍ إلّا رَحَّبُوا بِي وضَحِكُوا لي غَيرَ واحدٍ سَلَّمتُ علَيه فرَدَّ علَيَّ السّلامَ ورَحَّبَ بِي ودَعا لي ولَم يَضحَكْ لي؟ فقال: ذلك

= وفي الحديث دليلٌ لأهلِ الحَقِّ أهلِ السُنّة والجماعةِ علَى أنّ النَبيَّ والوَلِيَّ له تَصرُّفٌ بَعد وفاتِه وأنّه يَنْفَعُ بإِذْنِ الله عزَّ وجلَّ، فقد نفَعَ موسَى أُمّةَ محمّدٍ ﷺ نَفْعًا عَظِيمًا بما حصَل لَيلةَ المِعراج حين أشارَ علَى سيّدنا محمّدٍ أن يَطْلُبَ مِن اللهِ التّخفيفَ في عدَدِ الصّلواتِ، وفي هذا رَدٌّ على مُشَبّهة العَصرِ المُجسِّمة النّافِينَ حُصولَ النَّفْعِ مِمّن ماتَ، والّذِين يَعتبِرُون المتوسِّلَ بالأنبياءِ والأولياءِ مُشرِكًا باللهِ.

(١) أي جَماعةٍ.

(٢) فيه حَثٌّ للنّبِيّ ﷺ على أن يأمُرَ أُمّته أمرَ إرشادٍ ونَدبٍ لا وجوبٍ بالتّداوِي بالحِجامةِ، والحِجامةُ بكَسر الحاء لا بضَمِّها. ورُوِي عن النّبيّ ﷺ أنه كان يَحتَجِمُ في رأسِه وبَين كتِفَيه وفي الأخدعَين، ويُحجَمُ المرءُ في الموضِع الّذي يَرجُو نَفعَه لاختِلافِ العِلَل، وقد ذُكِر عن المتقدّمِين في العِلم أنّ حِجامةَ الأخدعَين على النُّقْرة لأدواءِ العينَين والرأسِ والعنُقِ والظَّهر، وأنّ الحِجامة على الكاهِل نَفْعُها مِن داءِ الجسَد كُلِّه، وأنّ الحِجامة فوق القَحْف - العَظم فوقَ الدِّماغ - نَفعُها من السَّدَد وقُروح الفَخِذ واحتِباس دَمِ الحيض، قاله ابنُ بطّال. ويُرجَع في ذلك كُلِّه إلى الثِّقاتِ أهلِ الخُبرة في ذلك، فإنّ بعضَ النّاسِ تضرُّهم الحِجامةُ، كما أنّ العسَل يَضرُّ مَن غلَبَ عليه خَلْطُ الصَّفراءِ، ولذلكَ قال المفسِّرون في قولِه تعالى في شأنِ العَسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ إنّ ذلك مُطلَقٌ وليسَ عامًّا في كُلِّ فردٍ، فلم يَقُل: إنّه شِفاءٌ لكُلّ النّاس مِن كُلّ داءٍ ولكنّه في الجملة دواءٌ، وقَلَّ أنْ يوجَد مَعجُونٌ من معاجِين الأطبّاء القُدامَى إلّا وتَمامُه بالعسَل، والأشربةُ المتَّخذة من العسَل نافعةٌ لأصحاب البلغَم والشُّيوخ المبرُودِينَ، ومنافِعُه كثيرةٌ جدًّا لا يُحصِيها إلّا اللهُ تعالى.

(٣) أي نزَلَ.

مالِكٌ خازنُ النّارِ لَم يَضحَكْ مُنذُ خُلِقَ، ولو ضَحِكَ لأحَدٍ لضَحِكَ لكَ.

فلمّا نزَلَ إلى سَماءِ الدُّنيا نظَرَ إلى أسفلَ مِنهُ[١] فإذَا هو بِرَهَجٍ[٢] ودُخانٍ وأصواتٍ فقال: ما هذا يا جِبريلُ؟ قال: هذه الشّياطِينُ يَحُومُون على أعيُنِ بَنِي ءادمَ لا يَتفكَّرُون في مَلَكُوتِ السّماواتِ والأرضِ، ولَولا ذلكَ لرأَوُا العَجائبَ.

ثُمّ رَكِبَ مُنصرِفًا[٣] فمَرَّ بِعِيرٍ[٤] لقرَيشٍ بمكانِ كذَا وكذَا فيها جمَلٌ علَيه غَرارتانِ[٥] غَرارةٌ سَوداءُ وغَرارةٌ بَيضاءُ، فلمّا حاذَى العِيرَ نَفَرَتْ واستدارَتْ وصُرِعَ ذلكَ البَعِيرُ وانكَسر، ومَرَّ بِعِيرٍ قد ضَلُّوا بَعِيرًا لهُم قد جمَعَه بَنُو فلانٍ لهُم، فسَلَّم علَيهِم[٦]، فقال بعضُهم: هذا صَوتُ محمّدٍ، فلمّا أتَى أصحابَه قُبَيلَ الصُّبحِ بمكّةَ، فلمّا أصبحَ قَطَعَ وعَرَفَ أنّ النّاسَ[٧] تُكذِّبُه، فقعَد حزِينًا، فمَرَّ بِه عدُوُّ اللهِ أبو جَهلٍ فجاءَ حتّى جلَسَ إلَيهِ فقال له كالمُستهزِئ: هل كانَ مِن شيءٍ؟ قال: نعَم، قال: ما هو؟ قال: أُسرِيَ بِي اللَّيلةَ، قال: إلى أينَ؟ قال: إلى بَيتِ المَقدِس،

---

(١) أي ناحيةَ الأرضِ.

(٢) أي دُخان كثير وأصوات مُزعِجة، وما بَعدَه تفسيرٌ له.

(٣) أي رجَعَ إلى الأرضِ بطريقِ خَرقِ العادةِ لا بطَريقِ البُراقِ.

(٤) أي إبِلًا مُحمَّلةً أو قافِلةً.

(٥) أي علامَتان.

(٦) أي حيّاهُم بتحيّةٍ.

(٧) أي كُفّارَ مكّةَ.

قال: ثُمّ أصبَحتَ[١] بَين ظَهْرانَيْنا[٢]؟ قال: نعَم، فلَم يَرَ[٣] أنّه يُكذِّبُه مَخافةَ أنْ يَجْحَدَه الحديثَ إنْ دعا قومَه إليه، قال: أرأيتَ إنْ دعَوْتُ قَومَك أَتُحَدِّثُهم بما حدَّثْتَنِي؟ قال: نعَم، قال: يا مَعشَرَ بَنِي كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ هَلُمُّوا[٤]، فانفَضَّتْ[٥] إلَيه المَجالِسُ وجاؤُوا حتَّى جلَسُوا إليهِما[٦]، فقال: حَدِّثْ قَومَك بما حدَّثْتَنِي به، فقال رسولُ الله ﷺ: إنّي أُسرِيَ بِي اللَّيلةَ، قالوا: إلى أينَ؟ قال: إلى بَيتِ المَقدِس، قالوا: ثُمّ أصبَحتَ بَين ظَهْرانَينا؟ قال: نعَم، فمِن بَينِ مُصفِّقٍ ومِن واضِعٍ يدَهُ على رأسِه مُتعجِّبًا وضَجُّوا وعَظَّمُوا ذلك، فقال المُطعِمُ بنُ عَدِيّ: كلُّ أمرِكَ قَبلَ اليوم كان أَمَمًا[٧] غيرَ قولِكَ اليومَ، أنا أشهَدُ أنّكَ كاذِبٌ، نحنُ نَضرِبُ أكبادَ الإبلِ[٨] إلى بيتِ المَقدِس مُصْعِدًا[٩] شَهرًا ومُنحدِرًا[١٠] شَهرًا، تَزعُم أنّك أتيتَه في ليلةٍ؟! واللّاتِ والعُزَّى لا

(١) أي دخلتَ في الصّباحِ.

(٢) أي بينَنا.

(٣) بفَتح الياء بمعنَى لَم يَعتقِد.

(٤) أي أقبِلُوا، ولعلَّ التعّبير بها مِن الرّاوي فإنّ لُغة أهلِ الحِجازِ: «هُلَمَّ».

(٥) أي أسرعَتْ.

(٦) أي إلى رسولِ الله ﷺ وأبِي جهلٍ عدُوّ اللهِ.

(٧) أي خفِيفًا سَهلًا.

(٨) يُريدُ الخروجَ بالإبِل نَفسِها.

(٩) أي ذهابًا.

(١٠) أي إيابًا.

أُصدِّقُك، قال أبو بَكرٍ: يا مُطعِمُ بِئسَ[١] ما قُلتَ لابنِ أخِيكَ[٢]، جَبَّهْتَه[٣] وكذَّبتَه، أنا أشهَدُ أنّه صادِقٌ.

فقالوا: يا محمّدُ، صِفْ لنا بَيتَ المَقدِس كيفَ بناؤُه وكيفَ هَيئَتُه وكيفَ قُرْبُه مِن الجبَل، وفي القَومِ مَن سافَر إلَيهِ، فذهَبَ يَنعَتُ لهُم[٤] حتَّى الْتَبَس علَيه النَّعتُ[٥]، فكُرِبَ[٦] كَربًا ما كُرِبَ مِثلَه، فجِيء بالمَسجِدِ[٧] وهو يَنظُر إليه حتَّى وُضِع[٨] دُونَ دارِ عَقِيلٍ أو عِقالٍ[٩]، فقالوا: كَم للمَسجِد مِن بابٍ؟ ولَم يكُن عَدَّها، فجعَل يَنظُر إلَيها ويعُدُّها بابًا بابًا ويُعْلِمُهم وأبو بكرٍ يقولُ: صدَقْتَ صدَقْتَ، أشهَدُ أنّكَ رَسولُ اللهِ، فقال القَومُ: أمّا النَّعتُ[١٠] فواللهِ لقَد أصابَ، ثُمّ قالوا لأبِي بَكرٍ: أفَتُصَدِّقُه أنّه ذَهَب اللَّيلةَ إلى بَيتِ المَقدِس وجاءَ قَبلَ أنْ يُصبِحَ؟

---

(١) أي مذمومٌ هو.

(٢) يريدُ بذلكَ أنّه الأصغَرُ سِنًّا، كما أنّهم يقولون للمُسِنّ يا عَمّ.

(٣) أي قابَلْته وأخجَلْته.

(٤) أي يَصِفُه.

(٥) أي لَم يَكُن ضبَطَ كُلَّ تفاصِيلِه.

(٦) أي شَقَّ عليه ذلكَ.

(٧) أي رُفِعَ له، وقيل: أُحضِرَ إليه فرءاه أمامَه.

(٨) أي المسجِدُ أو مِثالُه.

(٩) والأوّل أشهَر.

(١٠) أي وصفُ المسجِد.

قال: نعَم، إنّي لأُصدِّقُه فيما هو أبعَدُ مِن ذلكَ، أُصَدِّقُه في خَبَر السّماءِ[١] في غَدْوةٍ[٢] أو رَوْحةٍ[٣]، فبِذلكَ سُمّي بِأبي بكرٍ الصدّيق.

ثُمّ قالوا: يا محمّدُ، أخبِرْنا عن عِيْرِنا[٤]، فقال: أتَيتُ على عِيرِ بَني فُلانٍ بالرَّوْحاءِ[٥] قد ضَلُّوا ناقةً لهُم، فانطَلَقُوا في طلَبِها، فانتَهَيتُ إلى رِحالِهِم وليسَ بها مِنهُم أحَدٌ، وإذَا بقَدَحِ[٦] ماءٍ فشَرِبتُ مِنهُ، ثُمّ انتهَيتُ[٧] إلى عِيرِ بَنِي فلانٍ بمَكانِ كذَا وكذَا فيها جمَلٌ أحمرُ علَيهِ غَرارةٌ سَوداءُ وغَرارةٌ بَيضاءُ، فلمّا حاذَيتُ العِيرَ نَفَرتْ وصُرِعَ ذلك البعيرُ وانكسَر. ثُمّ انتهَيتُ إلى عِيرِ بنَي فلانٍ في التَّنعِيم يَقْدَمُها[٨] جمَلٌ أورَقُ[٩]، علَيه مِسْحٌ[١٠] أسوَدُ، وغَرارتانِ سَوْداوان، وها هي تَطْلُعُ عليكُم مِن الثَنِيّة[١١]، قالوا: فمتَى تجِيء؟ قال: يومَ الأربعاءِ. فلمّا كان

(١) يعني المِعراجَ.

(٢) ما بينَ طُلوعِ الفجرِ والزَّوالِ.

(٣) ما بينَ الزَّوال والغُروبِ.

(٤) أي إبلِنا أو قافلَتِنا.

(٥) مَكانٌ على أربعِين مِيلًا مِن المدينةِ.

(٦) شِبهُ القَصعةِ.

(٧) أي وصلتُ.

(٨) أي يتقدَّمُها.

(٩) أي في لونِه بياضٌ وسَوادٌ.

(١٠) أي أثَرٌ.

(١١) أي الطّريق.

ذلك اليَومُ أشرَفَتْ قُرَيشٌ يَنتظِرُون العِيرَ وقَد ولَّى[١] النّهارُ ولَم تَجِئ، فدَعا النّبيُّ ﷺ فزِيدَ له في النّهارِ ساعةٌ[٢] وحُبِسَتْ له الشَّمسُ حتّى طَلَعَ العِيرُ فاسْتَقبَلُوا الإبِلَ، فقالوا: هل ضَلَّ[٣] لكُم بَعِير؟ قالوا: نعَم، قال: هل كان عِندَكُم قَصْعةٌ مِن ماءٍ؟ فقال رجُلٌ: أنا واللهِ وضَعْتُها فما شَرِبَها واحِدٌ مِنّا ولا أُهَرِيقَتْ[٤] في الأرضِ، فرَمَوه بالسِّحْرِ[٥] وقالوا: صَدَقَ الولِيدُ[٦]، فأنزَلَ اللهُ سبحانَه وتعالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾.

انتهَت القِصّة بحَمدِ الله وعَونِه
وصلَّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى ءالِه وصَحبِه وسَلَّمَ تَسلِيمًا كثيرًا
والحمدُ لله ربّ العالمِينَ

---

(١) أي انقضَى.

(٢) أي وقتًا.

(٣) أي ضاعَ.

(٤) أي ولا أُرِيقَتْ وصُبَّتْ.

(٥) أي اتّهَمُوه به.

(٦) يعنُونَ الولِيدَ بنَ المُغيرةِ أحدَ قادةِ قُريشٍ المُشركِين الّذِين عادَوا النَّبيَّ ﷺ ولَم يُسلِمُوا، وهو والِدُ سَيّدِنا خالِدٍ رضي الله عنه.

خاتمةٌ

الوجوبُ المؤكَّد في التحذِير من الأباطيلِ والافتراءاتِ الّتي تُفترَى على دِينِنا الحَنِيف في قصّةِ المعراج

١ – يجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ اللهَ يَسكُن السَّماء» أو «إنّ الله جالِسٌ على العَرشِ».

٢– ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ ليلة المعراج وصَل إلى مكانٍ يَنتهِي إليه وُجودُ اللهِ».

٣– ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ ليلة المعراج اقترَبَ مِن اللهِ بالمَسافةِ والمكانِ حتّى صار منه كالحاجِب مِن الحاجِب».

٤– ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ ليلة المعراج وصَل إلى مكانٍ فأُزِيح له السِّتارُ فدخَل فاجتَمَع بِربِّه خَلفَ السِّتار».

٥– ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ في المِعراج وصَل إلى مكانٍ رأى فيه اللهَ يُصلِّي»، ويزيد هنا بعضُ الكفّار فيقولُ: «طُوبَى لكَ أيُّها المُصلِّي، فاللهُ يُصلِّي، والنّبِيُّ يُصلِّي، والملائكةُ يُصلُّون، فأنتَ في صَفّ الله»، والعياذُ باللهِ.

٦– ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ في المعراج أُزِيح له السِّتارُ فدخَل على اللهِ وصارَ بَينَه وبينَ اللهِ والملائكةِ حِوارُ التَحِيّاتِ».

٧– ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ ليلة المعراج اختَرَق ءالافًا مِن حُجُبِ النُّورِ والنّارِ والهَيبةِ ثُمّ وصَلَ إلى مكانٍ خَلْفَ تِلكَ الحُجُبِ فرأَى الله مُحتَجِبًا خَلْفَها».

٨- ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ رأى اللهَ في المعراج بصُورةِ شابٍّ أمْرَدَ».

٩- ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول رأى الله في المعراجِ بِهَيئةِ نُورٍ عَظِيمٍ حتّى خاضَ النَبِيُّ في ذلك النُّورِ الّذي هو الله» بِزَعمهم، والعياذُ باللهِ.

١٠- ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ استَوْحَشَ في المعراج فكَلَّمَهُ اللهُ بِصَوتِ أبِي بَكرٍ الصِدِّيقِ».

١١- ويجبُ التّحذِير مِن قول بعضِهم: «لمّا وصَل جِبريلُ عليه السّلامُ والرّسولُ ﷺ إلى ما بَعدَ سِدرةِ المُنتهَى قال جِبريلُ: «هنا يُفارِقُ الخلِيلُ خلِيلَه، لو تَقدَّمْتُ احتَرَقتُ»، فإنْ قالها القائلُ على وجهِ الاستِخفاف بسيّدِنا جبريل أو انتقاصًا مِن قَدرِه العظيم أو أنه يَحترِقُ ويَمُوتُ حَقِيقةً كَفَر، وأصلُ هذا الخبر لَم يَرِد في حدِيث صَحِيحٍ، أمّا مَن أوردَه مِن غير فَهمٍ لشيءٍ مِن هذه المعاني الّتي حذَّرنا منها فلا يكفر.

١٢- ويجبُ التّحذِير مِن قول الكفّار: «إنّ الرّسول ﷺ دَنا مِن اللهِ دُنُوًّا حقيقيًّا حتّى صارَ بينَهُما مِن المسافةِ قَدْرُ ذِراعَين أو أقلّ».

وُكلُّ ما سَبَق مِن أقوالِ الكافرين فيه تكذِيبٌ للقُرءان والسُنّةِ والإجماع، يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، وقالَ اللهُ تقدَّسَتْ أسماؤه: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، وقال أبو جعفرٍ الطحاوي ناقلًا في ذلك الإجماع: «ومَن وصَف الله بمعنًى مِن معاني البشر فقد كفَر»، وقال الإمام الشافعي: «المُجسِّم كافِر» رواه السُّيوطي في «الأشباه والنظائر».

١٣- ويجبُ التّحذِير مِن قول بعضِ الجُهّال الّذين يَنسُبون للنبيّ ﷺ كذِبًا أنّه قال: «مَن بشَرَّ أُمّتي بدخُولِ رجَب حُرِّمت عليه النّار».

١٤- ويجبُ التّحذِير مِن قول بعض الجُهّال: «إنّ النّبيّ ﷺ والصّحابةَ سَمَّوه رجَبًا الأصَبّ» ويُعلِّلُون ذلك بأنّ الرِّزقَ يُصَبُّ فيه صَبًّا.

١٥- ويجبُ التّحذِير مِن الحديثِ المكذُوبِ على رسولِ الله ﷺ وهو قولُهم: «فَضلُ شَهرِ رجَبٍ على الشُّهور كفَضلِ القرءانِ علَى سائِر الكَلامِ»، فإنّ شهرَ رمضانَ خيرُ الشُّهور على الإطلاقِ.

فليَحذر المرءُ مِن روايةِ المكذوباتِ على النبيّ ﷺ على سبيلِ التّروِيج لها، فقد قال القاضي عياض في «الإلْماعِ إلى مَعرفة أُصولِ الرِّوايةِ وتَقيِيد السَّماعِ» ما نصُّه: «واتَّفَقُوا على أن تعَمُّد الكَذِب على النَّبيّ ﷺ مِن الكبائِر، واتَّفقُوا على تَحرِيم رِوايةِ المَوضوعِ إلّا مَقرُونًا بِبَيانِه» اهـ ومِمّا يؤيّد تغليظَ أمرِ الكَذِب على النبيّ ﷺ وأنّه ليس كالكَذِب على غيرِه مِن النّاسِ قولُه عليه السّلام: «**إنَّ كَذِبًا علَيَّ ليسَ ككَذِبٍ على أَحدٍ**» أي مِن الخَلْقِ «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» أي بوّأَهُ اللهُ ذلك، وهذا كُلُّه محمولٌ على أنَّ هذا جزاءُ الكاذبِ عليه ﷺ بمعنَى أنّه يَستَحِقُّ ذلكَ إنْ لَم يَتُب قبلَ المَوتِ، وقد يَعفُو اللهُ الكَريمُ عنه فلا يُعذِّبُه، أمّا مَن استحلَّ الكذبَ على رسولِ الله ﷺ أو كذبَ عليه ما يُؤدِّي إلى تكذِيب الدِّين ومات على ذلك فإنّه يُخلَّد في النّار إلى أبدِ الآباد.

وسُبحانَ الله وبِحَمدِه
والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين

الفهـرست